رسالة بديعة في التصوف

الإمام عبد اللَّه بن أبي بكر العيدروس

- رحمه اللَّه تعالى -

811 - 865 هـ

تحقيق

د. زين بن محمد بن حسين العيدروس

- عفا اللَّه عنه -

دار العيدروس

1439هـ - 2017 م

رِسَالةٌ بَدِيْعةٌ فِي التَّصوّفِ

للإمامِ عبد الله بن أبي بَكْر العَيْدَرُوس
رحمه الله تعالى

تحقيق

د . زين بن محمد بن حسين العيدروس
عفا الله عنه

دار العيدروس

الطبعة الثانية

منقحة مصححة

١٣٩هـ-٢٠١٧م

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

الصف الضوئي والتنسيق

دار العيدروس

daralaidaroos@gmail.com

حضرموت . اليمن

واتس آب . ٧٧١٣١١٤٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمدُ الله تعالى على توفِيقهِ ولُطْفهِ، وجميل بِرِّه وعطْفه، البَرُّ الرَّحيم، والجَواد الكريم، أن بعثَ إلينا نبيُّ الرحمة، وهاد الأمة، إلى صراط مستقيم، ومنهجٍ قويم، فهدانا بهديه وحكمته، وجذبَ القلوب بشفقتهِ ورفقهِ، فلم يَترك شاردةً ولا واردةً إلا بيّنها، فحقّق لنا من أصول الإسلام ظواهره، ومن أصول الإيمان بواطنه، ومن أصول الإحسان مراقبته، فصَلُحت أحوالنا في الحال والمآل، وأشهد أن لا إله إلا الله الكبير المُتعال، لا إله غيره، ولا ربَّ سِواه نعبده، ولا قصداً لغيره نوجهه، وأشهد أن حبيبنا وسيدنا محمداً عبده ورسوله، وخاتم أنبيائه، وصفوة خلقه، اللهم صلِّ على عبدك المُجتبى، ورسولك المُقتَفى،الهادي إلى طريق الهُدى، وعلى آله هُداةُ الورَى، وأصحابه الشُّرفاء، ومن أحبّهم وبهديهم اقْتَفى، أما بعد :

فهذه رسالةٌ بديعةٌ نادرةٌ في السلوك والتّصوّف للإمام العَيْدَرُوس جدُّ السّادة الأشراف من آل العَيْدَرُوس، قريبة ألفاظها، وواضحة معانيها، وفائقة نصوصها، فأحببتُ نشرها وخدمتها؛ ليعمَّ نفعها وفائدتها، ووفاءً وبِرّاً لجدِّنا الإمام العيدروس . رحمه الله تعالى وأجزل عطائه ..

كان السلف الصالح في القُرون الثلاثة الأولى على خيرِ مِثالٍ يُحتذى، وخير طريقة مُثْلى، فكانت حركاتُهم وسكناتُهم مِنْهاجاً قرآنياً، وسلُوكاً نبويَّاً، ترجموا القرآن الكريم في معاملاتهم قرآناً حقيقياً، فهم أهل القرآن وخاصته، واقتبسوا من معلِّم البشرية علومهم وأذواقهم، وساروا في بلاد الله تعالى بسَمْتِهِ وخُلُقه، فسَادوا الأمم، وقادُوا العرب والعجم، ثم تخلَّف الأجيال، ووقعوا في الجهالة والبطالة، وتنافسوا الدنيا وعمَرُوها، فقام ورّاث النبي ﷺ بجهودٍ جبّارة، فحفظوا مقاصد الكتاب العزيز، والسنّة المشرّفة، حسب فهم سلف الأمة، المشهود لهم بالخيرية، فكتبوا في السلوك والأخلاق كُتباً قيّمة، فأنقذوا الخلف، وأرشدُوهم إلى ما كان عليه السلف، وهم أئمة أعلام ونجوم لوامع، ومِنْ هؤلاء الأئمة: الإمام العَيْدَرُوس، فقد أحياء الله به العلوم والدروس، وأنار بوصاياه ورسائله النفُوس؛ لصدقه وإخلاصه للملك القدوس، كيف لا ! وله اليد الطُولى في العلم اللدُني، والباع الطويل في

فنون العلم الرّباني، وله تقوى الله مذْهبُ، تحلّى بالعلم وتتوَّج بالعمل، فتجلّت له المعاني في أشرف الحُلل[1] . رحمه الله تعالى .، أسأل الله تعالى لي الإخلاص، وأن يعظم لي الأجر، بفضله ومنه، وعلى الله التُكلان.

عملي في تحقيق الرسالة:

١. كتبتُ ترجمة للمؤلف الإمام العَيْدَرُوس، وذكرتُ منهجه وطريقته.

٢. عزوتُ الآيات القرآنية.

٣. قمتُ بتخريج الأحاديث النبوية والآثار تخريجاً علميّاً.

٤. عزوتُ النُقول لأصحابها من مصادرها الأصلية.

٥. علّقتُ على ما يلزم التعليق عليه بالهامش؛ لإيضاح مسألة أو تحقيقها، خصوصاً المسائل المُشْكِلة.

٦. قمتُ بتشكيل ما لزِمَ تشكيله، واتبعت قاعدة: (اشْكِلْ ما يُشْكَل).

٧. ترجمتُ للأعلام غير المشهورين في الرسالة.

٨. عمِلتُ فهرساً تفصيلياً للموضوعات.

وصف المخطوطة المحققة وميزاتها:

حصلتُ على صورة من المخطوطة من هذه الرسالة الفريدة المباركة من مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم . حضرموت . اليمن، برقم ٢٦٤٧ في ٢٨ ورقة ، كل صفحة ٢٤ سطر، مقاس ١٥ ×٢١سم، وهي الأصل ، وهي بخط النسخ، وخط واضح، وتوجد بها بعض العناوين بالحُمرة ، وليس فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .

ووجدتُ أيضاً هذه الرسالة للإمام العَيْدَرُوس في كتاب الكواكب الدُّريَّة واليواقيت اللؤلؤية جامع بعض مناقب ومفاخر ومآثر ووصايا مشاهير الأئمة العلوية،(وهي النسخة الهندية) للعلامة عيدروس بن حسين بن أحمد العَيْدَرُوس المُعمِّر. رحمه الله .، وهو ثقةٌ ثبْتٌ، من

---

(١) انظر: الغرر لخرد٢٠٢.

شيوخ العلامة المُسْنِد عيدروس بن عمر الحبشي . رحمه الله .، وقد قال عنه: وصَفَهُ شيخنا المشهور في شمس الظَّهيرة بالشرف والفضل والصَّدارة، وهو من أعظم المناصب شأناً، وأثبتهم جناناً، وأبعدهم مسافةَ غَورِ عقلٍ[1]. ويشتمل الكتاب على وصايا سيدنا العَيْدَرُوس، وبعض مناقبه، ورسالته هذه التي قمتُ بتحقيقها، وآخرها شرحٌ لقصيدة العلامة سعيد بن عمر بالحاف التي مطلعها: نحنُ لكم من قبْل أن يلد نُوح.

وقد عزى شرح هذه القصيدة للإمام العَيْدَرُوس المؤرخ العلامة محمد الشلّي وغيره في المشرع الروي، ثم قال: وله رسائل كثيرة، في علوم مُنيرة ووصايا شهيرة[2].

وقد طبع الكتاب في المطبعة الفيضيّة بحيدر آباد سنة١٣٢٨هـ، بخط واضح .

وقد امتازت الرسالة بسُهولة عباراتها على العُموم، وشمولها لكثير من مسائل السلوك ونحوها، واختصارها وتلخيصها لِمَا تفرَّق من دقائق الأخلاق والفضائل، وكون مؤلفها من مشاهير أعلام السادة العلويين، وله القَدم الراسخة في علوم السلوك، عِلْماً وعمَلاً، وذوقاً وفهْماً، وبالله تعالى التوفيق والهداية.

ترجمة الإمام عبد الله العَيْدَرُوس

نَسبُه

هو: الإمام عبد الله بن أبي بكر (السّكْران) بن عبد الرحمن السقّاف بن محمد (مولى الدُويْلة) بن علي بن علوي (الغيُور) بن محمد (الفقيه المُقدَّم) بن علي بن محمد (صاحب الصّومعة) بن علوي بن عبيد الله بن أحمد (المُهاجر) بن عيسى (الرُومي) بن محمد (النّقيب) بن علي (العُريْضي) بن جعفر (الصَّادق) بن محمد (البَاقر) بن علي (زين العابدين) بن الحسين بن فاطمة (الزّهراء) بنت سيد

---

(١) انظر: إدام القوت ٥٤٧ . ٥٤٨، وستأتي ترجمة المذكور.

(٢) المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي ٣٤٦/٢، وانظر: والغرر٢٠٤، وفتح الكريم الغافر في شرح حلية المسافر لعقيل باعمر ٥٦.

الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى اله عليه وآله وسلم.[1]

لقبه العَيْدَرُوس:

سمّاه والده الإمام أبو بكر السّكْران[2] بعبد الله ولَقّبه بالعَيْدَرُوس ، وقال: هو لقب الأولياء، والعتيروس بالمثناة الفوقية، ثم المثناة التحتية: من أسماء الأسد.

قال الجوهري: العترسة الأخذ بالعنف والشدّة،[3] وهو من أوصاف الأسد.

قال الإمام مرتضى الزبيدي : (عَدْرَس، بتقديم الدال على الراء، يُقال: عَدْرَسهُ عَدْرَسَةً، إذا صَرَعه، كعَرْدَسَه، ومنه العَيْدَرُوس، بفتح العين، ويقال: أن الدّال مقلوبة عن التاء. والعَدْرَسة، مثل العَتْرسة: الأخذُ بالجَفَاء والشِّدّة، وبه سُمِّي الأسد عَيْدَرُوساً. لأخذه فَرِيسته عُنْفاً، صرّح بهذا القلْبِ علاَّمة اليمن محمد بن عمر بن المبارك الحضرمي الشهير ببَحْرَق، وبه لُقِّب قُطْبُ اليمن محي الدين أبو محمد عبد الله بن القطب أبي بكر بن عماد الدين أبي الغوث عبد الرحمن ابن الفقيه مولى الدويله محمد بن شيخ الشيوخ علي بن القطب ابن عبد الله علوي بن الغوث أبي عبد الله محمد، مُقدّم التُرْبة بتريم، الحُسيني الجعفري، ولد رضي الله عنه في ذي الحِجَّة سنة٨١١ وتوفِّي سنة٨٦٥. وهو جدُّ السادة آل العَيْدَرُوس باليمن)[4].

ثم ذكر شيخه العلامة عبد الرحمن بن مصطفى بن شيخ العَيْدَرُوس وترجم له.

---

(١) هكذا ذكره صاحب الترجمة كما في مجموع كلام الإمام العَيْدَرُوس لتلميذه عبد الله محمد عيديد، مخطوطة ورقة ١٠٠. وقد ذكره صاحب النور السافر كتابه هذا المجموع. انظر: النور السافر، ١١١/١.

(٢) أبو بكر السَّكْران: من أكابر الأولياء العارفين، الذين كمُلوا في الاقتفاء والاتباع، سُمّي بالسكران؛ لأنه ظهر عليه حال منعه النوم ليلاً ونهاراً، ويدور في شوارع تريم بذكر الله تعالى، وهو يسير كالسكران، لا يشعر بشيء، ويُصيبه في بعضها برْد شديدٍ وقت الصيف، وعكسه في الشتاء. توفي رحمه الله سنة٨٢١هـ . ترجم له في المشرع ٦٩/٢، وشرح العينية١٩٢، وعقد اليواقيت١٠٧١/٢.

(٣) انظر: مختار الصحاح ١٧٣.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس ٢٣٩/١٦ . ٢٤٠ مادة (عدْرَس).

قال العلامة محمد بن عمر بحرق . رحمه الله .: فلعلّ التاء الفوقية أُبدلت في العَيْدَرُوس دالاً؛ لاتّحاد المخْرَج، ولاشك أن الأَسد مُقدَّم الوُحوش كلّها، وأن الشيخ عبد الله مُقدَّم الأولياء في عصره.[1]

ولادته ونشأته

وُلد في العشر الأول من ذي الحجة، سنة إحدى عشر وثمانمائة، ونشأ بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، ونال عنايةً من جدِّه الأمام عبد الرحمن السقاف، ومات عنه وهو ابن ثمان سنين، وتفرّس فيه، وأخبر بأنه سيكون له شأن، وربّاه أبوه الإمام أبو بكر تربية صالحة كاملة، ومات عنه وهو ابن عشر سنين، فقام بتربيته بعد أبيه عمّه الإمام عمر المحضار.[2]

وكان أبوه كثيراً ما يسأل الله تعالى في خلواته أن يرزقه ذُريَّة صالحة، وحقق الله دعائه ولم يخيّب رجائه.[3] وهذا منهج قرآني، سارَ عليه الصالحون، وأَمّه المتقون، فرحِم الله الآباء لإعانتهم للأبناء، وأجرى لهم الأجر والعطاء، قال الله تعالى في ذكر دعائهم: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[4].

طلبه العلم وشيوخه وتلامذته

حظي الإمام العَيْدَرُوس برعاية جدّه الإمام السقاف . رحمه الله . وتغذّى بلبان علومه ومعارفه، واقتدى به في هدْيه وسمْته، واستنار أفكاره بما تلقّاه عن والده، وسارَ على مِنهاجه ورغبته، ثم رعاه عمُّه الإمام عمر المحضار بعد وفاة والده، وأخذ عنه علوماً عديدة، وتلقّى عنه منهاج الشريعة والطريقة، وأخذ عن أعمامه:

---

(١) انظر: مواهب القدوس، لبحرق ضمن المجموعة العيدروسية ٤٧. وانظر: المشرع الروي ٢/٣٤٢.

(٢) انظر: الغرر ٢٠٧، ومواهب القدوس ٤٨.

(٣) انظر: المشرع الروي ٢/ ٣٤٢.

(٤) سورة الأحقاف: ١٥.

أحمد وشيخ ومحمد وحسن، ومن جُملة شيوخه أيضاً في علوم الشريعة:

١. الفقيه سعدُ بن عبد الله باعُبَيد

٢. العلامة عبد الله باهَرَاوة

٣. العلامة إبراهيم بن محمد باهُرْمُزْ

٤. الشيخ عبد الله باغُشَير

٥. والسيد العلامة محمد بن حسن جمل اللّيل

٦. العلامة الأديب أحمد بن محمد بن عبد الله بافضْل، أخذ عنه علم العربية

٧. الشيخ محمد بن علي باعمَّار[١] أخذ عنه النحو والصرف

٨. الشيخ محمد بن حسن المعلِّم

٩. الشيخ سعد بن علي بن عبد الله بامَدْحَج الحضرمي التريمي[٢]

وسمِعَ الحديثَ من خلائق آخرون بحضرموت، واليمن، والحجاز، وكان له اعتناء تام بالتنبيه، والخلاصة، والمنهاج، وقرأ هذه الكتب الثلاثة مراراً عديدة قراءة بحثٍ وتحقيقٍ، ومراجعة وتدقيق.

وبرَع في علوم الشريعة الثلاثة: التفسير والحديث والفقه، وأما علم التصوف والحقائق والعقائد، فقد جمع من جميعها فرائد القلائد، وكان فيها بَحراً لا يُجارى، وبدْراً إلا أنه يشرقُ نهاراً، ومَنْ قرأ كتابه الكبْريت، ورسالته البديعة في التصوّف أدرك حقيقة ما قِيل فيه.[٣]

وقد تخرّجَ بالإمام العَيْدَرُوس تلاميذ كثيرون، من العلماء والفضلاء، فمنهم: أخوه الإمام علي، وأولاده: أبو بكر العدني، وحسين، وشيخ، والإمام عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء، والإمام أحمد قسَم بن علوي الشيبة، والفقيه عبد الله بن

---

(١) في الغرر٢٠٣، وشرح العينية١٩٥: علي بن محمد بن علي أبا عمار.

(٢) انظر: الغرر٢٠٣، والمشرع الروي٢/٣٤٧، وشرح العينية١٩٥.

(٣) انظر: المشرع الروي ٢/٣٤٣.

محمد عيديد، والعلامة عبد الله بن أحمد باكثير المكّي، والعلامة عبد الله بن عبد الرحمن باوزير، وغيرهم من قبيلته، وغيرهم من خلائق شتّى[1].

صفاته وأحواله

كانت للإمام العَيْدَرُوس مجاهدات في العبادة عالية، وهممٌ في الخيرات سابقة، وعينه من خشية الله تعالى ساهرة، وقد عُيِّن وهو ابن خمسة وعشرين سنة نقيباً للسادة العلوية، بإجماع السادة الأشراف، وجلس للإقراء والتدريس، والاشتغال بأنفس نفيس، وإذا تكلّم في التفسير فهو حامل رايته، أو في الحديث فهو ذُو دِرَايته ، أو في الفقه فمُدركٌ غايته، وجمعَ بين علوم الشريعة والحقيقة، فلم يُغلّب جانباً على جانب، وكان مع تقدّمة على أقرانه، كان يُحب الخمول؛ إذْ به يحصل الوصول إلى الله تعالى [2].

وكان يُحكّم الشّرع على عقله، ويتّبع قوله صواب فعْله، وكان جواداً عظيماً سَخيّاً كرِيماً، حدِّث عن كرمه ولا حرج، وكان يُعطي عطاء الملوك، ويتواضع تواضع الصّعلُوك، ويُنْزل كل إنسان منزلته، ويَظن كل أحدٍ أنه أحبّ الناس إليه.[3]

وكان يُحب أهل الشرع ويُوقّرهم، ويخدم أهل السُنّة وينصرهم، ويَبغض أهل البِدع ويُحقّرهم.[4]

وكان حسن الأخلاق والمُعاشرة، بعيد الغضب، سريع الرِّضا، كريماً جواداً، كثير الانفاق في وجوه الخير، والإطعام للضيف، والفقراء والمساكين[5].

---

(١) انظر: الغرر ٢٠٥، وعقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادة العلوية للمُسنِد عيدروس بن عمر الحبشي٢/١٠٦٣، وشرح العينية ١٩٨.

(٢) انظر: المشرع الروي٢/٣٤٤.

(٣) انظر: المشرع٢/ ٣٥٥.

(٤) انظر: الغرر ٢٠٣.

(٥) انظر: مواهب القدوس ٥٠.

عنايته بإحياء علوم الدين

كان مُلازماً لقراءة كتاب إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، ومطالعته حتى كادَ أن يحفظه، وكان يحثُّ أصحابه على قراءته وكتابته ومطالعته، وقد قُرِئَ عليه أكثر من خمس وعشرين مرة، وكان يصنعُ عند كل ختْمٍ ضيافة لطلبة العلم ، وكان يُطالع الإحياء كلّ فصلٍ وحرْفٍ منه، مع التدبّر، والمُعاودة، ويقول: يظهر لي في كل يوم علوم وأسرار عظيمة، وفهُومات غزيرة، غير التي قبلها [١].

ولشدِّة عنايته بالإحياء جُمع من كلامه في الترغيب فيه، والحثِّ على مطالعته والعمل بما فيه في رسالةٍ مستقلة باسم البَخْبَخَة[٢] جمعها أحدُ أحفاده العلامة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العَيْدَرُوس، طبعت بالمطبعة الفيضيّة الكائنة بحيدر آباد عام ١٣٢٨هـ.

وقد قيل: أنه لم يسبق الإمام العَيْدَرُوس ولم يلحقه أحد اثنى على كتاب الإحياء، كما أثنى عليه، ودعا الناس بقوله وفعله، وحثَّ الناس على التزام مطالعته، والعمل بما فيه.[٣]

ومن كلامه فيه: ليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنّة، وقد شرحَ ذلك كله سيّد المصنفين ، وبقية المُجتهدين، حجّة الإسلام الغزالي في كتابه أعجوبة الزمان العظيم الشأن الملقب: (إحياء علوم الدين) [٤].

وقال فيه وفي الكتاب والسنة: بخٍ بخٍ بخٍ بخٍ لمَنْ اتّبع الكتاب والسنة، وطالع

---

(١) انظر: المشرع الروي٢/٣٤٥، والبخبخة٤ للإمام العيدروس جمع العلامة عبد الرحمن محمد العيدروس.

(٢) سُمّيت بذلك؛ لأنه أكثر فيها من ذكر بخٍ بخٍ وهي: كلمة تُقال عند المدح والرضى بالشيء، وتكرر للمبالغة، وهي مبنية على السكون، فإن وصلت جررت ونوّنت، فقلت: بخٍ بخٍ وربما شُددت . وبخْبَختُ الرجل، إذا قلتُ له ذلك . ومعناها تعظيم المرء وتفخيمه. وقد كثُر مجيئها في الحديث النبوي الشريف .انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير١/ ١٠١، والقاموس المحيط للفيروز آبادي مادة: بخ ٣١٧.

(٣) انظر: البخبخة ١١ــ ١٢.

(٤) انظر: المشرع الروي ٢/٣٤٥.

كتاب أبي حامد الغزالي.[1]

وقال: بخٍ بخٍ بخٍ بخٍ لمَنْ قرأ الإحياء أو طالعه أو سمعه أو أحبَّه [2].

وقال: بخٍ بخٍ بخٍ بخٍ لمن اتخذ الإحياء سميْره وجليسه [3].

مِنْ أقواله

ترك الإمام العَيْدَرُوس ثروة فكرية متميّزة، ومنهجاً علمياً وسلوكياً فريداً، يكسوا كلامه جمال الإخلاص، وصدق الوِجْهة، ووضُوح التّبليغ، وجزالة الألفاظ، وقد ترك لنا بعض رسائله، وحُفِظَ لنا بعض منثور كلامه، فمِنْ رسائله: الكبريتُ الأحمر والاكسير الأكبر المعبَّر عنه بالدُّرِّ والجوهر في التوحيد والتصوف، وقد قال فيها العلامة عيدروس بن حسين بن أحمد العَيْدَرُوس[4]:

إذا أردتَ أن تسمُوا وتفْخر وتفْهم سِرَّ معنى اللهُ أكبر

فشمّر داعياً في كلِّ حينٍ وطالِعْ يا فتَى الكبريت الأحمر

وله رسالة بديعة في التصوف، وضمنها شرح أبيات في التصوّف لبلْحَاف، وهي هذه التي بأيدينا، ورسالة البَخْبَخة عن إحياء علوم الدين، ومجموع كلام

---

(١) انظر: البخبخة ٣.

(٢) انظر: البخبخة ٣.

(٣) انظر: المصدر السابق ٣.

(٤) هو: عيدروس بن حسين بن أحمد بن عمر العيدروس المعمِّر، ولد بالحزم بقرب شبام عام١٢٤٤هـ، وطلب العلم بشبام ودوعن، وكان من كبار العلماء المشهورين بالجِدّ والكرم والجاه والصَّدارة، وهو من أعظم المناصب شأناً ، وأثبتِهم جَناناً، وكان عالي الهمَّة، أبيَّ النَّفْس، أبحر إلى الهند، ولم يزل ناشر الدعوة فيها إلى توفِّيَ بها عام١٣٤٦هـ من أشهر مؤلفاته: الكواكب الدُّريَّة واليواقيت اللؤلؤية جامع بعض مناقب ومفاخر ومآثر ووصايا مشاهير الأئمة العلوية، ويشتمل الكتاب على وصايا سيدنا العيدروس وبعض مناقبه ورسائله ووصايا أخيه سيدنا علي، ومناقبه، ومفتاح السرائر وكنز الذخائر للشيخ أبي بكر بن سالم. انظر: إدام القوت للسقاف٥٤٧.

الإمـام العَيْـدَرُوس جمـع تلميـذه عبـد الله بـن محمـد عيديـد مخطـوط، ولـديَّ نسـخة مُصـوّرة منـه بخـط جيّـد، وهـي نسـخة قديمـة ولـيس عليهـا تـاريخ النسـخ ولا الناسـخ، وقـد ذكـر هـذا المجمـوع الـذي جمعـه عبـد الله تلميـذه عيديـد المحـدِّث محمـد بـن علـي خـرد فـي كتابـه الغـرر[1]، وبالمقارنـة بمـا فـي المجمـوع، وبقيـة الكتـب التـي نقلَـتْ كـلام الإمـام العَيْـدَرُوس ووصـاياه، نجـدها مُتّفقـة بحرفهـا إلا مـا نـدر مـن زيـادة أو نقصان.

فمِنْ جملة دُررِ كلام الإمام العَيْدَرُوس:

١ـ لا يقـعُ العبـدُ عبـداً حتـى لا يُخْـرِجَ كلمـةً إلا بـإذن ربِّـه، ولا يقـع العبـدُ عبـداً حتى يصفُوَ باطنُه عن الخلقِ كلِّهم [2].

٢ـ اعصِر جسْمكَ بالمجاهدة؛ حتى تستخرجَ منه دُهْنَ الصَّفا[3].

٣ـ مـا عنـدنا طـرق إلـى الله تعـالى إلّا الشـريعة فهـي الأصـل، وإنمـا الطريقـة والحقيقـة مـن بركـات الشـريعة، ولا يُتصـوّر طريقـة ولا حقيقـة ولا مقامـات أحـوال ولا معـارف ولا أسـرار، ولا مُشـاهدات، ولا مُكاشـفات ولا فتوحـات إلّا مـن ثمـرات المعاملات بالشريعة.[4]

٤ـ اعلـم أنـه لا يتصـوّر أن ينظـر النـاس كلَّهـم إليـك بعـين الرِّضـا، ولـو كنـتَ أكمـل خلـق الله، بـل بعضـهم مـادح، وبعضـهم ذام؛ فاتخـذ النـاس جميعـاً أصـدقاء، بمحبـةِ المـوافقين ومُـداراة المُخـالفين، وعـدم الانكـار علـى المُنكـرين؛ فـإنهم قـد غلَبـت عليهم صفات بشريتهم كما غلَبت عليك صفاتك وشهواتك.

---

(١) انظر: الغرر ٢٠٥.

(٢) انظر: شرح العينيّة للإمام أحمد بن زين الحبشي١٩٩، وعقد اليواقيت الجوهرية٢/١٠٦٤.

(٣) انظر: عقد اليواقيت الجوهرية٢/١٠٦٤، وشرح العينيّة للإمام أحمد بن زين الحبشي١٩٩.

(٤) انظر: مواهب القدوس ٥١.

وأحسِن إلى مَنْ أساء إليك منهم، وكُن أنصح الناس للناس، ولو كرهوا النصيحة تكن عندهم أعزّ الناس، ولا تجادل أهل الحسد لك منهم، وتطمع في رضاهم عنك أصلاً ، خصوصاً أهل الجاه منهم، فمَنْ غلب عليه حُبُّ الجاه غلب عليه الحسد لا مَحالة، وعليك بحسن الظن في كل مؤمن، فإنّ كل مؤمن بالله ولي الله، ولا يصدّك عن حسن الظن في المؤمنين ما يصدرُ منهم من الحسد في بعضهم من بعض والعداوة والبغضاء؛ لأجل حُب الدنيا؛ فإنهم غير معصومين من الذنوب والخطايا، ولعلَّ لهم أعمالاً صالحة تكفِّر تلك الذنوب، فإنّ الحسنات يُذهبن السيئات. فيجمعهم الله برحمته في دار كرامته.[1]

٥ـ إذا كانت الهِممُ ناقصة، والبصائر مُظلمة، والتقوى جامحة، والأفكار راكِدة، لم تنلْ المطلوب، ولم تصلْ إلى المحبوب.[2]

٦ـ من أراد الصّفاء الرَّباني، فعليه بالانكسارِ في جوفِ الليل.[3]

٧ـ الكنوزُ كل الكنوز في دعائم الاجتهاد وتوزيع الأوقات، وهذا الشأنُ هو اللُّبابُ، بل هو المُخّ ، بل هو الجوهرُ الأبدي، والكبريت الأحمر، الذي لا يُدرَكُ في خزائن الدنيا والآخرة إلا لِمَنْ وفَّقَه الله تعالى، ومعظم أوقات الكُنوز بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، ونصف الليل الأخير وبعدَ الصُّبح[4].

٨ـ عليك بحفظ لسانِك عن كل مُؤمن ومُسلم، وخصوصاً الصالحين، فإن غِيبة المسلم تَهْلك قلْبك، وغِيبة الصَّالح تصلُ إلى ذريتك بعدك.[5]

٩ـ تركُ الغيبة ممْلَكة، وترك النميمة سَلْطنة، وحُسنُ الظنِّ وِلاية، وذكر الله

---

(١) انظر: مواهب القدوس ٥٢.

(٢) انظر: مجموع كلام الإمام العيدروس ورقة ١١٠، والكواكب الدرية ٨٧.

(٣) المصدر السابق ورقة ١١٠، وعقد اليواقيت الجوهرية٢/١٠٦٤، والكواكب الدرية ١٤٢.

(٤) انظر: وعقد اليواقيت الجوهرية٢/١٠٦٥، و شرح العينية للإمام أحمد بن زين الحبشي١٩٩.

(٥)مجموع كلام الإمام العيدروس ورقة ٤٠.

حالة، ومجالسة من يذكر الله مُكاشفة، والخير كلُّه في الصّمت.[١]

١٠ـ أحسِن إلى مَنْ أساء إليك؛ تَصِدْ خير الدنيا والأخرة، واقتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وآل بيته، وأوليائه العارفين، والدليل في ذلك قوله عز وجل ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[٢][٣].

١١ـ آهٍ آهٍ آهٍ من ترك السلوك، وارتكاب الذنوب، والتلذُذ بالعُيوب، حتى افتضح في عوالمِ الغُيوب، اسأل إلهك، وقُلْ: يا مُقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك[٤].

١٢ـ كُنْ انصح الناس للناس، خاصّهم وعامّهم؛ تكن عندهم أعزَّ الناس.[٥]

١٣ـ عليك بحسن الظن في كتاب الله العزيز، ورحمته وفضله وعفوه وغُفرانه وتجاوزه وسَتره ولُطفه ورأفته وصبره على خلقه، وحِلْمه وإحسانه إلى من قرُب وبَعُد من المذنبين، فسبحانه من سيِّد ماجد ما أكرمه. ثم عليك بحُسن الظن والمتابعة لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وصحبته. وعليك بحسن الظن في أولياء الله خاصة وعامة، ولا تغرّك كثرة الآراء والخلاف من حيث حب الدنيا والمُحاسدات؛ فأن كل مسلم ولي ! فكيف أهل الخصوص؟ وعليك بسلامة الصدر من الشرور، وعلامة الشرور الإصرار على الغِيبة والبغي، والحقد والحسد والكبر، واتباع شهوة الفرج، وإفراط الغضب، والبخل، وسوء الظن، مع الكبر والازدراء.[٦]

---

(١)مجموع كلام الإمام العيدروس ورقة ٤٦. ٤٧، وعقد اليواقيت الجوهرية٢/١٠٦٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٣) الكواكب الدرية ٨٢.

(٤) انظر: مجموع كلام الإمام العيدروس ورقة٩.

(٥) الكواكب الدرية ٨٢.

(٦) المصدر السابق ٨٢. ٨٣.

١٤ـ اعتمادنا اعتقاد الأشعرية ومذهبنا مذهب الشافعية على مقتضى الكتاب والسُنة، فمَنْ أراد التقرّب إلى الحضرات القُدسيّة بالصفات الحميدات القلبية، فعليه أن يزِنَ حركاته وسكناته، بمتابعة الكتب الفقيه مثل: الكتب النواوية والشيرازية، وفي سلوك طريق القوم الصوفية الاعتماد على متابعة الكتب الغزالية، واليافعيّة، بالتوبة، والنية، والصدق، والاخلاص، والزهد في الدنيا الفانية المضمحِلة. فمعتقدنا القرآن، والعمل بما فيه، والأحاديث المحمديّة، والاجماع، وقياس العلماء الزاهدين، العقلاء العارفين، الأتقياء العاملين، فمعتقدنا في التصوف إحياء علوم الدين على الكتاب والسنة، بل تصانيف الإمام أبي حامد الغزالي، والقُشيري، واليافعي، وأحمد الغزالي، والقوانين السهْروردية، وما بعد جماهير أهل السنة والعلماء بالله، الصوفية[١].

١٥ـ فالمعتقد: لا إله إلا الله، ليس كمثله شيء ،كلّ يوم هو في شأن، في أفعاله لا في ذاته وصفاته، لا تدركه الأبصار في الدنيا الدنيوية، إلا الأبرار في المنازل الأُخروية، بمعارفهم القدسيّة في الحضرات المعنوية، جلّت الحضرات القدسية عن توابع الجسمانية، بل هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، ليس كمثله شيء، وأن محمداً رسول الله أفضل خلق الله، آمنا بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره، وحلوه ومره، والصحابة كلُّهم عدول، والأنبياء كلهم معصومون، والأولياء محفوظون.[٢]

١٦ـ لا تحسب السعادات، والشقاوات، والمنازل، والدرجات بمدح الخلق، وذمِّهم، بل المنازل والدرجات، بمدح الله عزَّ وجل، وكتابه العزيز، والبُعد والشقاوات بذمِّه في كتابه أيضاً، وكذلك بمدح الرسول ﷺ في الأحاديث

---

(١) الكواكب الدرية ١٢٠.

(٢) المصدر السابق ١٢٠.

النبويات، وذمّه أيضاً في أحاديثه.[1]

١٧ـ لا تثقْ بصداقة المتملِّقين، وثِقْ بصداقة الصادقين، واقبل العُذْر من المعتذرِين كما قال بعضهم:

اقْبَلْ معاذِيرَ مَنْ يأتيك معتذِراً إنْ بَرَّ عندَكَ فيما قالَ أو فجَرا
فقد أطاعَكَ مَنْ يرُضِيكَ ظاهِرُه وقد اجلَّك مَنْ يَعصِيْك مُستَتِرا[2]

١٨ـ اتخذ الناس الجميع أصدقاء، ولا تُعادي أحداً، والناس ثلاثة أصنافٍ: محبِّين، ومتوسطين، ومناكرين، أما المحبُون فمودتُهم سيادَةٌ، وأما المتوسطون فصداقتُهم مُعاونةٌ، وأما المنكِرُون فكفايتُهم واحتمال أذاهُم ومداراتُهم أنفع. [3]

١٩ـ الحسد مقرُون بِحُب الجاه، كُلّ من غلَب عليه حُب الرياسات، غلَبَ عليه الحسد.[4]

٢٠ـ اعلموا أن الطرق إلى الله تعالى على عدد أنفاس الخلق، وقد اندرجت وادمجت جميع الطرق في كتب الغزالي، وكتب الإمام اليافعي أيضاً، ولا تحسب كثرة الطريقة؛ فإنها طريق واحدة وهي الشريعة، مثال: تقول الشريعة شجرة، ولكن للشجرة أغصان وفروع كثيفة ولطيفة، ولها شعب وشعاب، وعروق كالشجرة، وعروق كنسيج العنكبوت، ولها زهر، ولها ثمر أخضر وأصفر وأحمر وأسود وأبيض وأشقر، فثمَّ الحقائق، وأغصانها الطرائق، وشعبها وفروعها اختلاف المشايخ والفقهاء الموقّعين، وأوراقها وعروقها وشعابها من حيث تربية العارفين المستبصرين بالكلام القديم في اختلاف أحوال المُريدين، وقلوبهم ونفوسهم ونياتهم وعلمهم وجهلهم وداءهم ودواءهم، فمِنْ هذا الوجه سُميت الطرق إلى الله على عدد أنفاس

---

(١)الكواكب الدرية ٨٠، ٨١.

(٢) المصدر السابق ٨١.

(٣) المصدر السابق ٨١.

(٤) المصدر السابق ٨٥.

الخلق، فقواعد السلوك امتثال الأوامر الشرعية، واجتناب النواهي الشرعية، وحسن الظن في الله، ثم في رسوله، ورسله، وكتبه، وملائكته، وأوليائه، وسائر أهل الدين والمسلمين.[1]

٢١ـ اعلم أن جميع الكائنات من الذّرة إلى العرش سبيل مُتصلة إلى معرفته، وحجة بالغة ،ناطقة بوحدانيته وربوبيته، فالعالَم كله كتابٌ، حروفُه أشخاصه، يَقرأه المُستبْصِرون على قدَرِ بَصائرهم.[2]

٢٢ـ علامة السَّعادة حسن الخلق، وعلامة التوفيق حُسن الخلُق، وعلامة العلم والعمل الصالح والأدب والرضا حُسن الخُلق، وهو علامة حياة القلب، وعلامة العقل كثرة الصمت، وعلامة الخوف كثرة الحزن، وعلامة الرجا كثرة العبادة، وعلامة الزهد القناعة، وعلامة الكرم بذْلُ الجهد في الخير وفي رضاء الله، وعلامة حسن الظن قوةُ الإيمان، وعلامةُ الاجتهاد الصمت عن الغيبة والنميمة، وعلامةُ الافتقار الانكسار، وعلامةُ التوبة كثرة الندَم، وعلامةُ بُغضِ الشهوات القناعة.[3]

٢٣ـ تحذّر من السّمَاع، ولا تَقرُب السّماع، لأن الطالبَ الصادقَ والمريدَ السالك، إذا تعاطى السّماع بغير عقلٍ ونقلٍ، وحياةِ قلبٍ، وموتِ نفسٍ، وتوبةٍ وزهدٍ، وفقرٍ ومعرفةٍ، وبصيرةٍ وسلوكٍ، ووصْلٍ وكشْفٍ، ونورٍ ويقينٍ، واستواءِ مدحٍ وذمٍ، فهو في خُسران من تضييع هذه المذكورات، فلا فائدة لقُربه للمُريدين خصوصاً في هذا الزمان.[4]

٢٤ـ عليك بالتوسّط في الأكل والشرب؛ فإنه يُورث النشاط في الطاعة، ويُذهب الكسل، وعليك بعِمارة الأوقات في الليل والنهار، وعليك بمحاسبة

---

(١)الكواكب الدرية ٨٦. ٨٧.

(٢) المصدر السابق ٦٥.

(٣) الغرر٤١٢، وانظر: وعقد اليواقيت الجوهرية٢/١٠٦٥.

(٤) الغرر ٤١٢. ٤١٣، وانظر: وعقد اليواقيت الجوهرية٢/١٠٦٥.

نفسك وخواطرك، مع حفظ الأوقات، وأشعر قلبك الحياء من الله، وإذا شرَعتَ في عملٍ مشروعٍ، فلا تحدِّث نفْسك بأنكَ تعيش بعده إلى عملٍ آخر، واعلم أن خلقَ الله مُسخّرون، نواصيهم بيده يُحرّكهم، ويُسْكِنَهم بقدرته، لا يملكون لأنفُسهم نفعاً ولاُ ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.[1]

٢٥ـ ومن كلامه في التوحيد، قال: هذه عقيدة مختصرة نافعة في الذّات والصفات والأسماء والأفعال؛ الذّات: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2]، والصفات: أحد صمد، ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[3]، والأسماء: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[4]، والأفعال: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[5]، أي: في أفعاله لا في ذاته المقدسة، وصفاته القديمة.[6]

٢٦ـ عليك بصلاة الجمعة، فإنّه يحصل ببركتِها ثلاث فوائد الأولى: أنها تجبر ما نقص من الفروض والنوافل، والثانية: أنها تبعد عنك الشُهْرة بالأربعين، والثالثة: أنه قد يحصل على من خلى بنفسه، واعتزل عن الناس بشيءٍ يُشبه الجنون يُعبّر عنه بالوَلَهْ، وفي صلاة الجمعة أمِنٌ مِنْ ذلك[7].

٢٧ـ اعلم أن الحجاب الكثيف الكدر، والبُعد كل البُعد في ذكر الدنيا وأهلها، وسخط الله تعالى في ذكر النساء، وموت القلب واستدراجه في النظر

---

(١) الغرر ٤١٣.

(٢) سورة الشورى: ١١.

(٣) سورة الإخلاص: ٣ – ٤ .

(٤) سورة الحشر :٢٢.

(٥) سورة الرحمن: ٢٩ .

(٦) مجموع كلام الإمام العيدروس ورقة ٣٥ ، والغرر ٤١٤.

(٧) مجموع كلام الإمام العيدروس ورقة ٨ .

إلـيهنّ والتفكـر فـي أدنـى خيـال فـيهنّ، والخيـر كـل الخيـر، أصـل كـل الخيـر: الزهـد والفقر والخوف والرجاء[1].

٢٨ــ عليـك بالافتقـار بـين يـدي الله فـي كـل حـال، ولا تظـن لنفسـك خيـراً، واعتقـد فـي سـائر المسـلمين الخيـر، وكـن عزُومـاً مُكابِـداً، صـبُوراً شـكوراً، وكـن بـالخير والطاعـة مسـروراً، وكـن بعيـداً مـن الشـر، سـمحاً وفيّـاً، ولا تكـن للرياسـة تكـن حسـوداً حقـوداً، وصِـل الأرحـام، وصَـلْ بالليـل والنـاس نيـام، ولا تكـن بـين يـدي مـولاك بعيوبِـك جحود، وكن من الشرِّ شرُود، وحافظ على الفروض، وصلِّ على النبي المحمود[2].

وفاته ـ رحمه الله ـ

كانـت وفاتـه بمنطقـة يُقـال لهـا: عَبُـول فـي طريـق الشـحر، يـوم الأحـد قبـل الـزوال، ثمـاني عشـر مـن رمضـان سـنة خمـس وسـتين وثمانمائـة مـن الهجـرة، (وعمـره خمـس وخمسون سنة) وحُمِل إلى تريم، وصلّى عليه أخوه الشيخ علي وقال بعد دفنه:

غبْـتُم فيَـا وحشـة الـدُّنيا لغيبـتِكم فـاليومَ لا عِـوض عـنكم ولا بَـدلُ

وتـرك مـن الأولاد المعقبـين أربعـة: الأول أبـو بكـر الملقّـب بالعـدني، وانقطـع عقبـه بموت ابنه أحمد، والثاني: الحُسين، والثالث: علوي، والرابع: شيخ.[3]

من منهج الإمام العَيْدَرُوس

١. وجوب حسن الظن بالعلماء المشهود لهم بالاستقامة والعلم كابن عربي، ووجوب ترك كتبهم المتضمنة ظاهرها المُشكلات، واشتمال معانيها لمسائل غامضات، وهذا منهج سلامة الصدر، وهو منهج أهل الورع وأهل القرآن قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ

---

(١) الغرر ٤١٤.

(٢) الغرر ٤١٤، وانظر: الكواكب الدرية١٠٢.

(٣) انظر: مواهب القدوس ٥٠.

ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1]، وقال سبحانه: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [2] ، قال العلامة محمد بحْرق . رحمه الله .: (وسمعتُ سيدي قدس الله روحه . يعني شيخه أبوبكر العدني . يقول: لا أذكر أن والدي رحمه الله ضربني ولا انتهرني قطّ، إلا مرة واحدة؛ بسبب أنه رآني بيدي جزء من كتاب الفتوحات المكية لابن عربي، فغضب غضباً شديداً، فهجرتها من يومئذ، قال: وكان والدي ينهى عن مُطالعة كتاب الفتوحات والفصوص لابن عربي، ويأمر بحسن الظن فيه، واعتقاد أنه من أكابر الأولياء العلماء بالله العارفين، ويقول: إن كتبه اشتملت على حقائق لا يدركها إلا أرباب النهايات، وتضر بأرباب البدايات. قلت . القائل بحرق .: وأنا أيضاً على هذه العقيدة وأدركت عليها جماعة من المشايخ المقتدى بهم كالشريف عبد القادر الحنبلي الفاسي إمام الحنابلة بمكة والمدينة، والفقيه جمال الدين محمد بن أبي بكر الصايغ اليمني التهامي الزبيدي، وهي مقتضى كلام الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي، في تاريخه وارشاده رضي الله عنهم أجمعين)[3].

وقد نقل السيوطي عن شيخه شرف الدين المُناوي عن ابن عربي . رحمهم الله .، بما حاصله: إن السكوتَ عنه أسلم؛ وهذا هو اللائق بكل وَرِع يخشى على نفسه.

ثم قال:(والقول الفصل عندي في ابن عربي طريقة لا يرضاها فِرْقَنَا أهل العصر لا مَن يعتقده، ولا مَن يحطّ عليه، وهي: اعتقادُ وِلايَته ، وتحريم النظر في كُتُبِه)[4].

وقال السيوطي مُبيِّناً لمنهج العلماء في حسن الظن بالعلماء المشهود لهم بالخير والصلاح: (ما نُقل ونسب إلى المشائخ – رضي الله عنهم – ممّا يخالف العلم الظاهر، فله محامل: الأول – أنَّا لا نُسلِّم نسبته إليهم حتى يصحَّ عنهم. الثاني – بعد الصحة يُلْتَمَس له تأويلٌ يوافق. فإن لم يوجد له تأويل قيل: لَعَلَّ له

---

(١) سورة الحشر: ١٠.

(٢) سورة الحجر: ٤٧.

(٣) مواهب القدوس ٩.

(٤) تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي للسيوطي٢، وانظر: المشرع الروي ٣٤٦/٢.

تـأويلاً عنـد أهـل العلـم البـاطن العـارفين بـالله تعـالى. الثالـث – صـدور ذلـك عـنهم فـي حـال السـكر والغيبـة، والسَـكرانُ سُـكراً مباحـاً غيـر مؤاخـذ؛ لأنـه غيـر مكلـف فـي ذلـك الحـال. فسُـوء الظـنِّ بهـم بعـد هـذه المخـارج مـن عـدم التوفيـق. نعـوذ بـالله مـن الخذلان، وسوء القضاء، ومن جميع أنواع البلاء)[1].

وقـد رجـعَ العلامـة الشـوكاني عـن عقيدتـه فـي العلمـاء الـذين اشـتهروا بالصـلاح كـابن عربـي وغيـره، بعـد أن حكـمَ بكفـرهم وذمّهـم، ويُعـدُّ هـذا قمّـة الرجـوع إلـى الحـق، وسـلوك طريـق العـدل والإنصـاف، فقـد ذكـر عنـد ترجمتـه لأحـد تلاميـذه السـيد القاسـم ابـن أحمـد بـن عبـد الله بـن القاسـم أنـه كتـب إليـه قصـيدة يهجـوا، ويـذم هـؤلاء المشتهر صلاحهم، وممّا قال فيها :

وجمـاعةٌ رَقـصوا علـى أوتـارهم ... يتجـاذبون الخمـر عـن أكوابـه
يتواجـدون لكـل أحـوى أحـور ... يتـعلّلون مـن الهـوى بـرِضابه
الوحـدة جعلـوا المثانـي مُؤنسـاً ... واللحـن عنـد الـذكر مـن اعرابـه
أصـحاب أحـوال تعـدوا طـورهم ... فتنـكّروا في الحـال عـن أحزابـه
فـدع التصـوف واثقـاً بـحقيقة ... واحـرص ولا يغـررك لَمـع سَـرَابه
خرجـوا عـن الإسـلام ثم تمسّـكوا ... بتـصـوّف فتسـتروا بحجابـه
فأولئـك القـوم الـذين جهـادهم ... فـرضٌ فـلا يعـدوك نيـل ثوابـه
وإذا أرابـك مـا أقـول فسـلْ بـه ... مـن عنـده في الحكـم فصـل خطابـه
فمحمـد بـن علـى ابـن محمـد ... مـني ومنـك محـقق ادرى بـه

قـال الشـوكاني بعـد نقْلِـهِ للقصـيدة بطولهـا: (فأجبـت عـن هـذا السـؤال برسـالة فـي كـراريس سـميتُها الصـوارم الحِـداد القاطعـة لعلائـق مقـالات أربـاب الاتحـاد، وسأذكر ههنا ما أجبتُ به عن النظم فقط وهو: . ننقل بعضاً منها ـ

(١) تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي للسيوطي٧.

فأنـــا ولا فخـــر الخبيـــــر بأرضـــه وأنـــا العـــرُوف بشـــامخات عقابـــه
وأنـــا العلـــيم بكـــلِّ مـــا في شـــرحه وأنـــا المـــترجّم عـــن خفـــي جوابـــه
وخـــذ الجـــواب فمـــا بـــه خطَـــل ولا عـــصبية قـــدحت بعيـــن صوابـــه
سُكّانـــــه صنفـــان صنـــفٌ قـــد غـــدا متجـــرّداً للـــحُب بيـــن صحابـــــه
أكـــرم بهـــذا الصـــنف مـــن سُـــكانه أحبـــب بهـــذا الجـــنس مـــن أحزابـــه
فهـــم الـــذين أصـــابوا الغـــرض الـــذى هـــو لامِـــرا في الـــدين لُـــبّ لبابـــه
ولكـــم مشـــى هـــذي الطريقـــة صـــاحب لمـــحمد فمـــشوا علـــى أعقابـــــه
فيـــها الغفـــاري قـــد أنـــاخ مطيّـــة ومشـــى بـــها القـــرني بســـبق ركابـــه
وبهـــا فضـــيل والجنيـــد تجاذبـــا كـــأس الهـــوى وتعلـــلاً برضـــابه
وكـــذاك بِشـــر وابـــن أدهـــم أسرعـــا مشـــياً بـــه والكيْنَعـــي مشـــى بـــــه
أمـــا الـــذين غـــدوا علـــى أوتارهـــم يتـــجاذبون الخـــــمر في أكوابـــــه
ولـــــوحدة جعلـــوا المثـــاني مؤنســـاً واللحـــن عنـــد الـــذكر مـــن اعرابـــه
ويـــرون حـــق الغـــير غـــير محـــرم بـــل يـــزعمون بـــأنهم أولى بـــــه
فهـــم الـــذين تلاعبـــوا بـــين الـــورى بالـــدِّين وانـــــتدبوا لقصـــد خرابـــه
إن صـــحَّ مـــا نقـــل الأئمـــة عـــنهم فالكفـــــر ضربـــة لازب لصحابـــــه

ثـم قـال الشـوكاني بعـد قصـيدته مبيِّنـاً مـنهج العلمـاء الربـانيين الـذي أمَّـه خلـقٌ كثيـر كلامـاً حسـناً ننقلـه بطولـه لدقتـه وأهميتـه: (وقـد أوضـحت فـي تلـك الرسـالة حـال كـل واحـد مـن هـؤلاء وأوردت نصـوص كتـبهم وبينـت أقـوال العلمـاء فـي شـأنهم، وكـان تحريـر هـذا الجـواب فـي عنفـوان الشـباب، وأنـا الآن اتوقـفُ فـي حـال هـؤلاء، وأتبـرأُ مـن كـل مـا كـان مـن أقـوالهم وأفعـالهم، مخالفـا لهـذه الشـريعة البيضـاء الواضـحة، التـي ليلها كنهارها، ولم يتعبّدني الله بتكفير من صار في ظاهر أمره من أهل الإسلام.

وهـبْ أن المـراد بمـا فـي كتـبهم، ومـا نُقـل عـنهم مـن الكلمـات المسـتنْكرَة المعنـى الظـاهر، والمـدلول العربـي، وأنـه قـاضٍ علـى قائلـه بـالكفر البَـواح والضـلال الصـراح، فمـن أيـن لنـا أن قائلـه لـم يتـب عنـه؟ ونحـن لـو كنّـا فـي عصـره بـل فـي مصـره،

بل في منزله الذى يعالج فيه سكرات الموت، لم يكن لنا إلى القطع بعدم التوبة سبيل؛ لأنها تقع من العبد بمجرد عقد القلب مالم يُغرغر بالموت، فكيف وبيننا وبينهم من السنين عدّة مئين؟ ولا يصح الاعتراض على هذا بالكفار فيقال: هذا التجْوِيز مُمكن في الكفّار على اختلاف أنواعهم؛ لأنّا نقول: فرق بين من أصله الإسلام ومن أصله الكفر، فإنّ الحمل على الأصل مع اللبس هو الواجب، لاسيما والخروج من الكفر إلى الإسلام لا يكون إلا بأقوال وأفعال، لا بمجرد عقد القلب والتوجّه بالنية المشتملين على الندم والعزم على عدم المعاودة، فإن ذلك يكفي في التوبة ولا يكفي في مصير الكافر مسلماً، وأيضاً فرق بين كُفر التأويل وكُفر التصريح، على أني لا أثبت كفر التأويل كما حققتُه في غير هذا الموطن، وفي هذه الإشارة كفاية لمن له هداية. وفي ذنوبنا التي قد اثقلت ظهورنا لقلوبنا أعظم شغلة، وطوبى لمن شغلته عيوبه، ومن حُسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه، فالراحلةُ التي قد حملت مالا تكاد تنوءُ به، إذا وضع عليها زيادة عليه انقطع ظهرها، وقعدت على الطريق قبل وصول المنزل، وبلا شك أن الوثوب على ثلْب أعراض المشكوك في إسلامهم، فضلاً عن المقطوع بإسلامهم جراءة غير محمودة، فربما كذب الظن وبطل الحديث، وتقشّعت سحائب الشكوك، وتجلّت ظلمات الظنون وطاحت الدقائق وحقت الحقائق، وإن يوماً يفرُّ المرء من أبيه، ويشحُّ بما معه من الحسنات على أحبابه وذويه لحقيق بأن يحافظ فيه على الحسنات، ولا يدعها يوم القيامة نهْباً بين قوم قد صاروا تحت أطباق الثرى قبل أن يخرج إلى هذا العالم بدهور، وهو غير محمود على ذلك ولا مأجور، فهذا مالا يفعله بنفسه العاقل، وأشدّ من ذلك أن ينثر جراب طاعاته وينثل كنانة حسناته على أعدائه غير مشكور، بل مقهور، وهكذا يفعل عند الحضور للحساب بين يدى الجبار بالمغتابين والنمامين والهمازين واللمازين، فإنه قد علم بالضرورة الدينية أن مظْلمة العِرض كمظلمة المال والدم، ومجرد التفاوت في مقدار المظلمة لا يوجب عدم انصاف ذلك الشيء المتفاوت أو بعضه بكونه مظلمة، فكل واحدة من هذه الثلاث مظلمة

لآدمي، وكل مظلمة لآدمي لا تسقط إلا بعفوه، ومالم يعف عنه باقٍّ على فاعله يوافى عرصَات القيامة، فقل لي: كيف يرجو من ظلم ميّتاً بثلْب عِرضه أن يعفو عنه، ومن ذاك الذى يعفو في هذا الموقف وهو أحوج ما كان إلى ما يقيه عن النار، وإذا التبس عليك هذا، فانظر ما تجده من الطباع البشرية في هذه الدار؛ فإنه لو ألقى الواحد من هذا النوع الإنساني إلى نار من نيار هذه الدنيا، وأمكنه أن يتّقيها بأبيه أو بأمة أو بابنه أو بحبيبه لفعل، فكيف بنار الآخرة التي ليست نار هذه الدنيا بالنسبة إليها شيئاً ؟ ومن هذه الحيثية قال بعض من نظر بعين الحقيقة: لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت أبي وأمي؛ لأنهما أحق بحسناتي التي تؤخذ منى قسراً وما أحسن هذا الكلام.

ولا ريب أن أشد أنواع الغيبة وأضرها وأشرها وأكثرها بلاءً وعقاباً ما بلغَ منها إلى حد التكفير واللعن؛ فإنه قد صحَّ أن تكفير المؤمن كفر، ولعنه راجع على فاعله، وسبابه فسق، وهذه عقوبة من جهة الله سبحانه، وأما من وقع له التكفير واللعن والسب فمظلمة باقية على ظهر المكفّر واللاعن والسباب، فانظر كيف صار المكفِّر كافراً، واللاعن ملعوناً، والسباب فاسقاً ولم يكن ذلك حد عقوبته بل غريمه ينتظر بعرَصات المحشر؛ ليأخذ من حسناته أو يضع عليه من سيئاته بمقدار تلك المظلمة، ومع ذلك فلا بد من شيء غير ذلك، وهو العقوبة على مخالفة النهى؛ لأن الله قد نهى في كتابه، وعلى لسان ورسوله عن الغيبة بجميع أقسامها، ومخالف النهي فاعل محرّم، وفاعل المحرّم مُعاقب عليه، وهذا عارض من القول جرى به القلم ثم أحجم عن الكلام سائلاً من الله حسن الختام)[1].

٢ـ كان ينزل الناس منازلهم فيحدث كل قوم حسب قواهم العقلية والعلمية؛ حتى لا يكذبوا الله ورسوله، قال عَلِيٌّ رضي الله عنه : (حَدِّثُوا النَاس بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٢/٣٢ ـ ٣٩.

يُكَذَّبَ الله وَرَسُولُهُ)[1]، وعن عَبْد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ ﷺ قال: (ما أنت بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إلا كان لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً)[2]، قال الحافظ ابن حجر بعد قول سيدنا علي ﷺ: (وَفِيهِ دَلِيل عَلَى أَنَّ الْمُتَشَابِه لَا يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَر عِنْد الْعَامَّة. وَمِثْله قَوْل اِبْن مَسْعُود ﷺ: (مَا أَنْتَ مُحَدِّثًا قَوْماً حَدِيثًا لَا تَبْلُغهُ عُقُولهمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَة)رَوَاهُ مُسْلِم. وَمِمَّنْ كَرِهَ التَّحْدِيث بِبَعْضٍ دُون بَعْض أَحْمَد فِي الْأَحَادِيث الَّتِي ظَاهِرهَا الْخُرُوج عَلَى السُّلْطَان، وَمَالِك فِي أَحَادِيث الصِّفَات، وَأَبُو يُوسُف فِي الْغَرَائِب، وَمِنْ قَبْلهمْ أَبُو هُرَيْرَة كَمَا تَقَدَّمَ عَنْهُ فِي الْجِرَابَيْنِ. وَأَنَّ الْمُرَاد مَا يَقَع مِنْ الْفِتَن، وَنَحْوه عَنْ حُذَيْفَة، وَعَنْ الْحَسَن أَنَّهُ أَنْكَرَ تَحْدِيث أَنَس لِلْحَجَّاجِ بِقِصَّةِ الْعُرَنِيِّينَ؛ لِأَنَّهُ اِتَّخَذَهَا وَسِيلَة إِلَى مَا كَانَ يَعْتَمِدهُ مِنْ الْمُبَالَغَة فِي سَفْك الدِّمَاء بِتَأْوِيلِهِ الْوَاهِي، وَضَابِط ذَلِكَ أَنْ يَكُون ظَاهِر الْحَدِيث يُقَوِّي الْبِدْعَة وَظَاهِره فِي الْأَصْل غَيْر مُرَاد، فَالْإِمْسَاك عَنْهُ عِنْد مَنْ يُخْشَى عَلَيْهِ الْأَخْذ بِظَاهِرِهِ مَطْلُوب)[3]، فكان الإمام العَيْدَرُوس يذاكر الفقهاء بما يوافقهم فيُقرّر لهم الآراء الفقهية حسب تقريرها، فإذا جالس عامة الناس نزل إليهم بلسان حالهم؛ ليقربهم إلى ربِّهم، فلا غموض في المقال، ولا حكايات أهل الأحوال.[4]

٣ـ الابتعاد من الولاة والسلاطين؛ فإن القرب منهم هلاك الدنيا والدين؛ لشدة غوايتهم إلا لقصد نصحهم وإرشادهم لا غير، فكان الإمام العَيْدَرُوس يحذر أصحابه من قرب الولاة، ويعاتبهم على المرور بساحتهم فضلاً عن معاشرتهم[5]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: العلم، باب: من خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لَا يَفْهَمُوا ح ١٢٧.

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه بَاب: النَّهْيِ عن الحديث بِكُلِّ ما سمع ح ٥.

(٣) فتح الباري١/ ٢٢٥.

(٤) انظر: المشرع الروي ٢/٣٥٥.

(٥) المشرع الروس ٢/٣٥٥، ومواهب القدوس ٥٠.

وكـان يقـول: وعليـك بمهـاجرة الظلمـة أعنـي الفـرار مـنهم إلا لضـرورة فـي الـدين أو دنيـا تعـين أو مصـلحة للمسـلمين[١]، وقـال أيضـاً : وعليـك أن لا تقـرب مـن أبـواب السلاطين، وإن بُليتَ من ضرورة عاملهم بالنصيحة[٢] .

٤ـ اتّسَـمَ مـنهج الإمـام العَيْـدَرُوس بتـرك الغلـو والابتعـاد عمّـا يكـون سـبباً لهـلاك المـرء كـاغتراره بنفسـه أو إذلالـه لغيـره، فـلا إفـراط ولا تفـريط، وهـذا هـو المـنهج الـذي انتهجـه العلمـاء الربـانيون وسـلكه المخلصـون، وأمّـه السـلف الصـالحون، ومِـنْ أمثلـة هـذا المـنهج المتبـع كراهيتـه لتقبيـل الأيـدي فضـلاً عـن الانحنـاء، وفضـلاً عـن تقبيـل الأرجـل، قـال الإمـام العَيْـدَرُوس: (واللهِ إن شـم اليـد عنـدي مثـل مـن يلطُـم وجهـي، وشـم الرِّجـل أيضـاً مثـل مـن يُقـوِّر عينـي تبغيضـاً لعـزّ الـدنيا)[٣]، وكـان يوصـي أصـحابه بتـرك الغلـو فـي إطـراء الآخـرين، فيقـول: (عليـك بتـرك كثـرة المـدح فـي الوجـه، وتوسّـط في مدحك، ولا تفْرُط؛ فإنه مذموم، ويُكره عند الممدوح)[٤] .

٥ـ أصـل طريقـة القـوم أن حـب الظهـور قاصـمٌ للظهـور، فـلا يـرَون لأنفسـهم مكانـاً ولا شـأناً، بـل هـم منطرحـون لإرادة الله تعـالى وقُدرتـه، واقفـون علـى موائـد رحمتِـه، نـاظرون للآمـر دون الأمـر. يقـول الإمـام العَيْـدَرُوس: (والله مـا أُريـد أحـد يعرفنـي، ولا أحـد يـدري بـي، ومـا مـرادي إلا عِـزّ الله)[٥]، ومـن نصـائحه: وعليـك بـالبغض للجـاه، والحُـب للخمـول، والضـعف والفقـر والمسـكنة والـذل لله ولرسـوله ﷺ وأوليـاءه والصـالحين والفقـراء والمسـاكين.[٦] وقـال . رحمـه الله . : عليـكَ بتـرك الترفّـع والتّصـدّر

---

(١) مجموع كلام الإمام العيدروس ورقة ٢١.

(٢) المصدر السابق ورقة ٦٦.

(٣) مجموع كلام الإمام العيدروس ورقة ١٠١. ١٠٢. والكواكب الدرية ١٣٥.

(٤) الكواكب الدرية ١١٢.

(٥) مجموع كلام الإمام العيدروس ورقة رقم ١٠١.

(٦)الكواكب الدرية ٤٠.

فـي المجـالس، بِـل اجلـس فـي أطـرَاف النـاس. أعنـي: موضـع الـذّل والخمـول والتواضع.[1]

وقـد تـرجمَ حقيقـة مـا يقولـه فـي التواضـع بفعلـه، قـال العلامـة أحمـد بـن زيـن الحبشـي عنـه: كـان شـديد الخـوف والتواضـع، لا يـرى نفسـه خيـراً مـن أحـدٍ مـن خلـق الله تعـالى، حتـى البهـائم والكـلاب. وكـان يضـع علـى رأسـه التـراب؛ تواضـعاً لله عـزّ وجـل. وكـان يحمـل حاجتـه مـن السـوق فـي ثوبـه، ولا يمكّـن أحـداً أن يحملهـا لـه، وقـد يضعها على عاتقه ورأسه[2].

٦ـ الـدعوة إلـى العلـم الشـرعي النـافع، والاجتهـاد فـي تحقيـق مسـائله، مـع العنايـة بكتـب السـابقين الجَمِعـين للعلـوم الشـرعية والزهديـة، وصـدق الإمـام مالـك لمّـا قـال: مـن تفقّـه ولـم يتصـوف فقـد تفسّـق، ومـن تصـوّف ولـم يتفقـه فقـد تزنـدق، ومـن جمـع بينهما فقد تحقق[3].

قـال المُحـدِّث محمـد بـن علـي خـرد عـن الإمـام العَيْـدَرُوس:(الجـامع بـين العلْمَـين الظـاهر والبـاطن، الحـاوي محاسـن الفضـائل، المتجنّـب للرذائـل، لـه اليـد الطُـولى فـي العلـم اللّـدني، والبَـاع الطويـل فـي فنـون العلـم الربـاني ... وكـان مُـدْمِناً علـى مطالعـة الكتـب النافعـة: إحيـاء علـوم الـدين، ورسـالة القُشـيري، وقُـوت القلـوب، وعـوارف المعـارف، قـلّ أن يفتـر أو يمـل المطالعـة، قـرأ التنبيـه للشـيخ أبـي إسـحاق الشـيرازي، والمنهـاج للنـووي، وعمـدة ابـن النقيـب، والخلاصـة للغزالـي، قـراءةَ مُحقّقـة مُكـرّرة لهـذه الكتـب النافعـة، مـع بحـثٍّ وتـدقيقٍ، وفحـصٍ وتحقيـقٍ لهـذه الكتـب، وكـنَّ لـه عمدة)[4].

---

(١)الكواكب الدرية ٦٣.

(٢) شرح العينية ١٩٦.

(٣) انظر: الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض مع شرح علي القاري ٥ / ٤٠٨ .

(٤) انظر الغرر ٢٠٢. ٢٠٣.

وقال المُسنِد عيدروس الحبشي عنه أيضاً: سمِع الحديث من خلائق لا يحصون بحضرموت واليمن والحجاز، وبرَع في علوم الشريعة الثلاثة: التفسير والحديث والفقه، وأما علم التصوّف والحقائق والعقائد فقد جمع من الجميع فرائد القلائد، وكان له اعتناءٌ تامٌ بالتنبيه، والخلاصة، والمنهاج، قرأ هذه الكتب مراراً عديدة، قراءةَ بحث وتحقيق، ومراجعة وتدقيق، ثم جلس للإقراءِ والتدريس، والاشتغال بأنفس نفيس.[1]

٧ـ العناية بتحقيق مسائل الاعتقاد، وإشهارها؛ لتقوية الإيمان بالله تعالى، وتحصين الأجيال من عقائد أهل الضلال، ومن قرأ رسالته الكبريت الأحمر عرَف ذلك، ولهذا جعلها المحدث محمد بن علي خرد ـ رحمه الله ـ في علم التوحيد.[2]، وقال العلامة أحمد بن زين الحبشي: كان له الكلام العالي في حقائق التوحيد[3].

وأشار الإمام العَيْدَرُوس إلى أصول الإيمان والاعتقاد أيضاً في مقدمة رسالته في التصوف التي بين يديك، ودائماً ما ينقل كما في الرسالتين المذكورتين أبيات للإمام عبد الله بن أسعد اليافعي، وهي تلخص عقائد أهل السنة. وقد سبق من كلامه شيءٌ ممّا يتضمن زبدة أصول معرفة الله تعالى.

٨ـ سلوك منهج الرعيل الأول وذلك بالزهد والورع في الدنيا، وترك زخارفها وعدم الاغترار بها وفتنِها وجهاد النفس، فها هو يصفُ منهج أجداده العويين السائرين على منهج جدهم الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم وأهل بيته الطاهرين وأصحابه المهتدين، قال رحمه الله : (واعلم أن أوائل آل أبي علوي ـ رضي الله عنهم ـ لم يكن جبلّتهم إلا الفقر والقناعة والزهد وذكر الموت والجوع، والخمول والضعف، والذل والانكسار لله تعالى

---

(١) انظر: عقد اليواقيت ٢/١٠٦٢ـ١٠٦٣، والمشرع الروي ٢/٣٤٤.

(٢) انظر: الغرر ٢٠٤.

(٣) شرح العينية ١٩٦، وانظر: عقد اليواقيت للحبشي٢/١٠٦٢.

القهار).[1]

وقال الإمام العَيْدَرُوس: (واعلم أن مشايخ الصوفية وأبو طالب المكي، وجميع المشايخ اتفقوا على أن بنا أمرَهم على أربعة أركان وهي: الجوع والصمت، والعُزْلة، والسّهر، وكمالها بالذكر، والطهارة، وحضور القلب، والافتقار إلى القهار الغفّار، ...واظب على ما أنت عليه من: العزلة، والجوع، والسهر، والصمت، والذكر، ودوام الوضوء، وحضور القلب؛ لأن الكنوز كلها في معنى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾[2])،[3].

مَنْ ترْجَمَ للإمام العَيْدَرُوس تَرْجَمَةً مُفْرَدة

ترجمَ للإمام العَيْدَرُوس ترجمةً مفردة جماعة من المؤرخين والعلماء، وقد اعتمَدَتْ كتب التراجم التي ترجمت له من هذه التراجم المفردة ، فمِنْ هذه المؤلفات:

١ــ فتحُ الرحيم الرحمن في مناقب الشيخ عبد الله بن أبي بكر العَيْدَرُوس ، لتلميذه السيد عمر بن عبد الرحمن بن محمد باعلوي صاحب الحمراء[4].

٢ــ النّفحة النورانية في مناقب الشيخ عبد الله بن أبي بكر العَيْدَرُوس ، لتلميذه عبد الله بن عبد الرحمن باوزير[5].

٣ـ البراهين المُشرقة في عجائب مناقبه الفائقة، للفقيه عبد الرحمن بن محمد الخطيب[6].

---

(١) مجموع كلام الإمام العيدروس ورقة ١١.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٣) مجموع كلام الإمام العيدروس ورقة ٨٩ ، ٩٠.

(٤) ذكره في مصادر الفكر في اليمن للحبشي١/٤٨٠.

(٥) ذكره في الغرر لخرد٢٠٦ وسمّاه التحفة النورانية، ومصادر الفكر١/٤٨٢.

(٦) ذكره في الغرر لخرد٢٠٦.

٤. فتح القُدّوس في مناقب عبد الله العَيْدَرُوس، لعبد القادر بن شيخ العَيْدَرُوس [١].

٥ـ وقد ترجمَ له ونقل منثور كلامه ووصاياه ورسالته هذه في التصوف وغيرها السيد عيدروس بن حسين بن أحمد بن عمر العَيْدَرُوس في كتابه الكواكب الدرية واليواقيت اللؤلؤية ، وقد جعله في مقدمة وبابين وخاتمة، فالباب الأول في الإمام العَيْدَرُوس وقد توسع في هذا الباب، والباب الثاني في أخيه الإمام علي بن أبي بكر. طبع في المطبعة الفيضيّة بحيدر آباد سنة١٣٢٨هـ.

٦ـ وترجم له من المعاصرين ترجمة مختصرة العم الداعية أبوبكر بن علي المشهور وسماها : العَيْدَرُوس الأكبر.

صور من المخطوطة (الأصل) من مكتبة الأحقاف للمخطوطات :

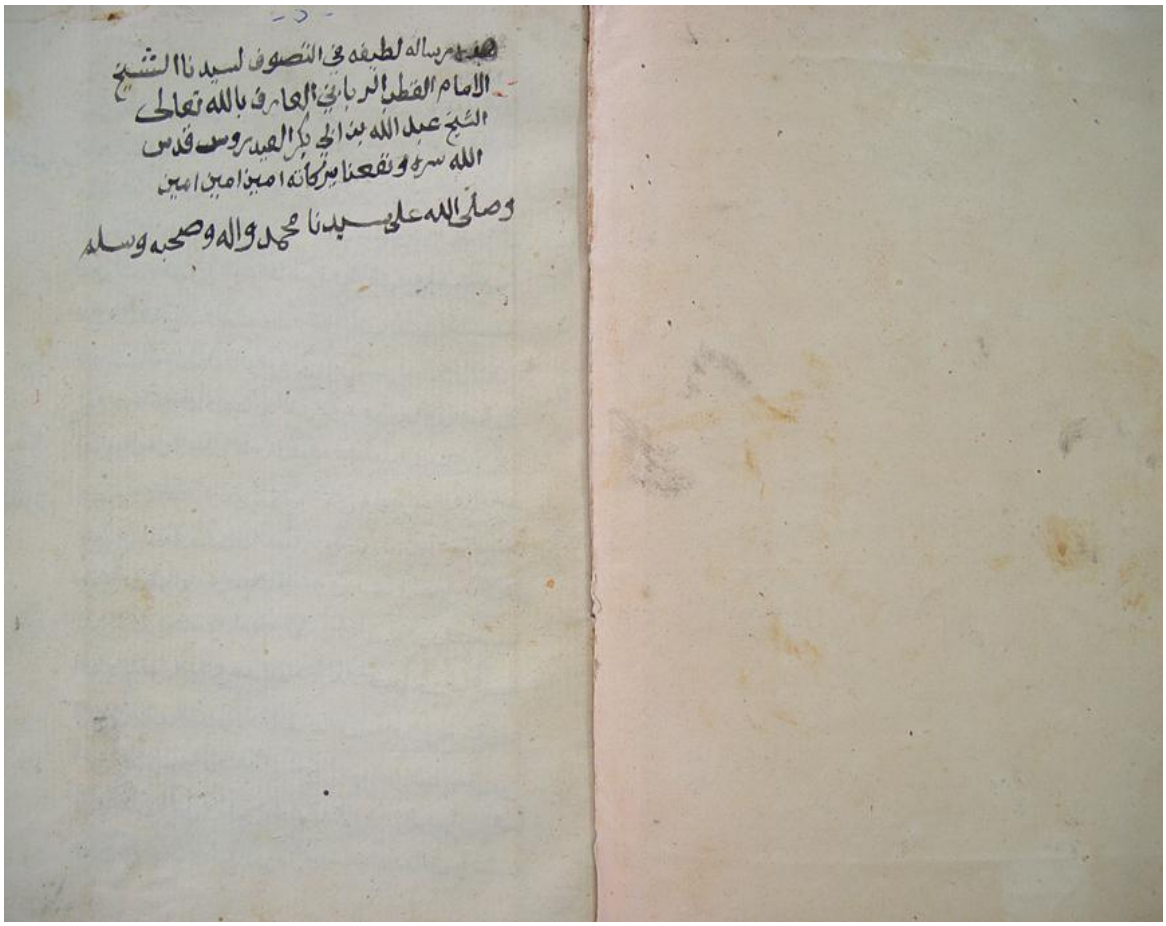
هذه رساله لطيفه في التصوف لسيدنا الشيخ
الامام القطب الرباني العارف بالله تعالى
الشيخ عبد الله بن ابي بكر العيدروس قدس
الله سره ونفعنا ببركاته امين امين
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

(١) ذكره في المشرع الروي للشلي ٣٥٦، وقال : والظاهر أنه لم يتمّه.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي حجبنا به عنه عن
ان نعرف له كنه بدا نوره فاستتر عن الابصار بنوره وظهر فاحتجب
عن البصائر بظهوره فما ادرج النور في النور وبطن الظهور في
الظهور فسبحان من احتجب عن الخلق بظهوره بنوره واختفى
عنهم لشدة ظهوره فهو الظاهر الذي لا ظهور له لمن طلبه
بدلائل المعقولات والمنقولات وهو الباطن الذي لا ابطن
منه لمن طلبه بالحواس والوهم والخيالات ليس كمثله شيء سبوح
قدوس ذاتا واسما وصفاتا الذي يرسد دقائق الحقائق في
لطائف الاسرار واطلع شمس المعرفة من غيب الغيب ضياء
للبصائر والابصار واظهر عجائب ما يخفى توهمه وهدا الافكار علق
مصباح القلب في مشكاة الصدور واضاءت زجاجة النفس
من نوره وطوالع سواطع الانوار واوجد عرف نسيم استروح
القرب لحضرة حضور ارواح الابرار القدير الذي قصت
افواه العقول بيد العجز عن كنه ادراكه وسجنها تحت طباق
الانوار اللطيف الذي نزه دقائق انفاس ارواح المقربين عن
شهود الاكوان وملاحظة الاغيار العليم الذي بسط اسرار
الاسماء لظهور الحكمة وشهود الحقيقة الاثار الرحيم الذي جعلنا
اهلة المقامات ومنبع الكرامات واسباب الحكم القربات

وينابيع

الابصار

الملكوت

وينابيع الحكم وجواهر الافكار حروف الاحكام بالاسماء والاطوار
والاكوان بالارادة والوجود باطلاقه سبحان الله جل الله
نور الانوار وحروف الجلالة اربعة احرف بها هاء قلبي
وثلاثة هي وفكري العالم الخالق بالصنع تدل على
الملاحة تجري ثم لام زائدة في المعاني ثم هاء بها اهيم ولا ادري
اسر جعله الله الكريم للعموم من خلقه بركة وما للخصوص وسيلة
ومعنى اعني في بسم الله تبركات حروف الجلالة الربانية المعنوية المعقودة القلبية
فتقدمت الف القوة المعقودية وتاخرت ها الهوية مشيرة الى جمع
الرموز الحقيقية الى الاسرار المعنوية الصوفية الصفية فاسبب
فاستشقت نسيم اسرار المجلس العالي والمعارف القدسية
لمن فهم من مشايخ الفقراء العارفين الصوفية ببركات متابعة
الكتاب والسنة لمن سبقت لهم الكلمة العلية بالسعادة الابدية
السرمدية المحبوبين عند اسرار الكتاب والسنة السنية الشرعية
كيف اهدي ينابيع العلوم اللدنية المخزونة في القلوب النورانية
ببركات متابعة الاتي الربانية كما قال تعالى يا ذي البرية واتقوا الله
ويعلمكم الله يا ذي البرية العلوم اللدنية المحملة روح
يوسف الكاشف لاغطية القلوب المرضية فصارت الافئدة
بتواقيت الابصار والافكار عجلية فلما انكحلت مقلة الافئدة

الفقيه الصوفية

للدم

ظلمة الكون لظهور نور القلب ولولا البعد لشوهد الحق
فاذا انكشف الحجاب خسر هذه الاسباب وترفع صبح
العوايق بقطع العلايق فانت الان محجوبا عن ذاتك
ولذاتك بذاتك وممنوع عن صفاتك بصفاتك ومحروم
عن الكشاف حياتك في حياتك ومقطوع عن كشف
جمالك لقلة اعدادك فلولاك لولاك انت علة عقالك
انت السبب في عذابك انت المثبت للاك في كذابك انت
المعطل لحالك انت المحجوب لثبابك انت المبتلى في
اهابك انت المهاجر لاحبابك انت النائي عن اقترابك
انت الراغب في تربيتك وعتابك انت المضيع بيع ومابل
الفضايل في لهوك وشبابك انت الغافل عن ذكر
ذاتك وايابك انت المسيء لنفسك في حياتك ومماتك
انت المولي عن طريق صوابك انت المتباع بالجفا عداوة
اصحابك انت القاطع سوء فعلك صلة قرابتك واحبابك
انت المغلق قيادك على المعاصي جميع ابوابك انت الجبل
دون قلبك ستر حجابك انت المغير سالم بباصرتك شهود
خصابك انت المبدد دقايق انفاسك فيما يضرك في
قبرك وترابك انت المسرف لنفسك في طعامك وشرابك

طويت

طويت سعادة تصوفك من مسجدك ومحرابك ولذلك لم
تلم نفسك في اللهو اولى بك وهذا الفضل كله في معنى هذه
الابيات بذاك سطر عند الكتابة والاصحاب كنت انت
فانت حجاب القلب عن مرتجيه ولولاك لم يطلع على خاصه
وجاحد بت لا تعلم سماعه نشر البنات ونظاصه
وفي شرح هذه الابيات بذاك اسلم اخفاوه وكنهه اولى
وهو يتكلم بالمجاهدة كما قال الله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا اي المعرفة بنا واما بعده فمتابعة
النفس والهوى فان غبت عنه اي بمخالفة النفس والهوى
حصل لك الحري والارتقاء وجاحد بت هو العلم الذي ضرب
بالمعاملة والله اعلم وقوله وطابعه اي البين قبل فان
غبت وجودك ووجود الكاينات دالات على اشراق صباح
القدرة الازلية العظمى فما جحدك الا ظلمة طبعك وتعدي
الامارة وهواك والله اعلم وبه التوفيق وهو حسبنا
ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم تمت الرسالة
بحمد الله وعونه ويتلوه المجيد وهذا ابتدا سيدنا الشيخ عبد الله
وهو لا اله الا الله لا اله الا الله لا اله الا الله محمد رسول الله
ثلاثا سبحان الله وبحمده سبحان الله وبحمده سبحان الله
وبحمده ثلاثا سبحان الله وبحمده سبحان الله وبحمده سبحان الله

ظلاحة

صورة من الرسالة من كتاب الكواكب الدرية (النسخة . الهندية)

صورة من غلاف كتاب : الكَواكِبُ الدُّريَّة والبواقيت اللؤلؤية للعلامة عيدروس بن حسين العَيْدَرُوس المتوفى عام١٣٤٦هـ المطبوع في المطبعة الفيضيّة بحيدر آباد الداكن المحميّة بمحلة سلطان شاهي سنة١٣٢٨هـ ـ وصورة من أول صفحة من رسالة بديعة في التصوف للإمام العَيْدَرُوس، والصفحة الأخيرة ـ .

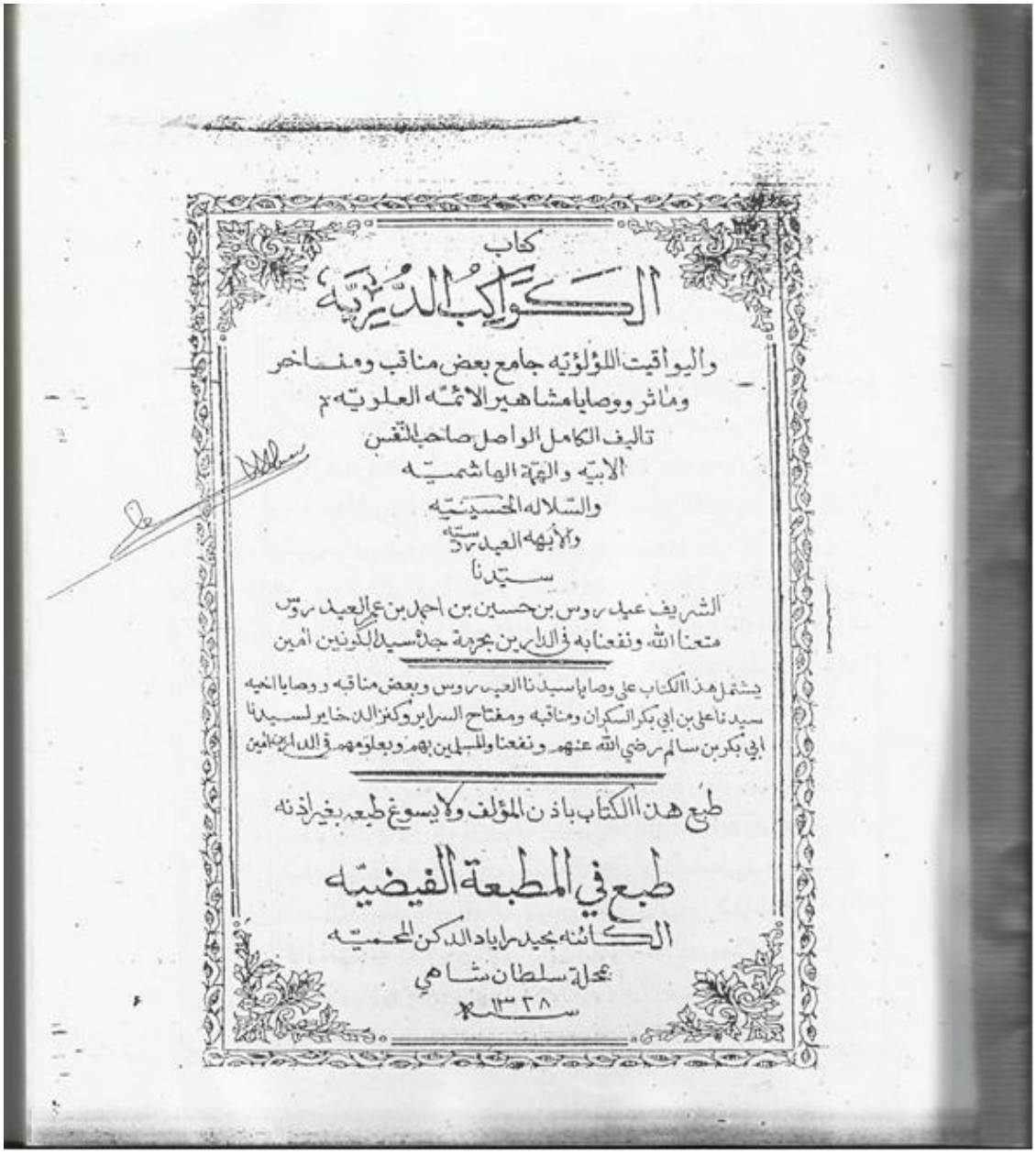

كتاب

الكواكب الدرية

والبواقيت اللؤلؤيه جامع بعض مناقب ومناخر
ومآثر ووصايا مشاهير الائمه العلويه م
تاليف الكامل الواصل صاحب النفس
الابيه والنهة الهاشميه
والسلاله الحسينيه
والابهه العيدروسيه
سيدنا
الشريف عيدروس بن حسين بن احمد بن علي العيدروس
متعنا الله ونفعنا به في الدارين بحرمة جده سيد الكونين امين

يشتمل هذا الكتاب على وصايا سيدنا العيدروس وبعض مناقبه ووصايا اخيه
سيدنا علي بن ابي بكر السكران ومناقبه ومفتاح السرابر وكنز الذخاير لسيدنا
ابي بكر بن سالم رضي الله عنهم ونفعنا والمسلمين بهم وبعلومهم في الدارين امين

طبع هذا الكتاب باذن المؤلف ولا يسوغ طبعه بغير اذنه

طبع في المطبعة الفيضيه
الكائنه بحيدرابادالدكن المحميه
بمحلة سلطان شاهي
سنه ١٣٢٨

الباب الاول فيما لسيدنا العيدروس الاشهر من الوصايا والمنثورات والدوائر وبعض المناقب. ولنستفتح بايراد رسالة بديعة في التصوف له

قال رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين. الحمد لله الذي حجبنا به عنه غيرة ان نعرف له كنه بدا انوره فاستتر عن الابصار بنوره وظهر فاحتجب عن البصاير بظهوره فاندرج النور في النور وبطن الظهور في الظهور فسبحان من احتجب عن الخلق بظهور نوره واختفى عنهم لشدة ظهوره فهو الظاهر الذي لا اظهر منه لمن طلبه بدلايل المعقولات والمنقولات وهو الباطن الذي لا ابطن منه لمن طلبه بالحواس والوهم والخيالات ليس كمثله شئ سبوح قدوس ذاتا واسما وصفاتا الذي يرسم دقايق الحقايق في لطايف الاسرار واطلع شمس المعرفة من غيب الغيب ضياء للبصاير والابصار واظهر عجايب الملكوت بخفي توهم وهم الافكار على مصباح القلب في مشكاة الصدور واضاءت زجاجة النفس من بوارق طوالع سواطع الانوار واوجد عرف نسيم استرواح القرب بحضرة حضور ارواح الابرار القدير الذي قصر افواه العقول بيد العجز عن كنه ادراكه وسجنها تحت طباق الانوار اللطيف الذي نزه دقايق انفاس ارواح المقربين عن شهود الاكوان وملاحظة الاغيار العليم الذي بسط اسرار الاسماء لظهور الحكمة وشهود الحقيقة في الاثار الرحيم الذي جعلنا ادلة المقامات ومنبع الكرامات واسباب الحكم المقربات وينابيع الحكم وجواهر الافكار حرف الاحكام بالاسماء والاطوار

٥ كواكب

بدا لك سر طال عنك اكتتامه ... واشرق نور كنت انت ظلامه
فانت حجاب القلب عن سر غيبه ... ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فان غبت عنه حل فيك وطنبت ... على سرك الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه ... شهي الينا نثره ونظامه

وفي شرح هذه الابيات بدا لك اسرار اخفاؤه وكتمه اولى وهو ينكشف بالمجاهدة كما قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا اي المعرفة بنا واما بعده فمتابعة النفس والهوى فان غبت عنه اي مخالفة النفس والهوى حصل لك الري والارتواء وجاء حديث هو العلم الذي ضرب بالمكالمة والله وقوله وما بعده اي البيتين قبل فان غبته وجودك ووجود الكاينات دالات على اشراق صباح القدرة الازلية العظمى فما حجبك الا ظلمة طبعك ونفسك الامارة وهواك والله اعلم وبه التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .. تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين

وهذه منثورة في دخول الخلوة والاربعينية لسيدنا العيدروس رضي الله عنه

الحمد لله الذي به حجبنا عنه غيره ان يعرف له كنه بدا نوره فاستتر عن الابصار بنوره كما قال عز من قايل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار لايه وظهر فاحتجب عن البصاير لظهوره فاندرج النور في النور وبطن الظهور كما قال حجة الاسلام الغزالي سبحان من احتجب عن الخلق بنوره واختفى عنهم لشدة ظهوره فهو الظاهر الذي لا اظهر منه وهو الباطن الذي لا ابطن منه فلا يقع بصرا وبصيرة الا

على افعاله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، الحمد لله الذي حجبَنا به عنه؛ غَيرةً أن نعرف له كُنْهٌ. بدا نورٌ فاستترَ عن الأبصار بنوره، وظهر؛ فاحتَجبَ عن البصائرِ بظهوره، فانْدَرجَ النُّور في النُّور، وبطْن الظهور في الظهور، فسبحان مَنْ احتجبَ عن الخلْقِ بظُهورِ نورِهِ، واختفى عنهم؛ لشدِّة ظُهوره، فهو الظاهر الذي لا أظهر منه لمن طلبه بدلائل المعقولات والمنقولات، وهو الباطن الذي لا أَبطنَ منه[1] لمن طلبَهُ بالحَواس، والوهم، والخيالات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[2]، سُبُّوح قُدُّوسٌ، ذاتاً، واسماً، وصفاتاً، الذي يُرسِم دقائق الحقائق في لَطائف الأسرار، وأَطلعَ شمس المعرفة من غيبِ الغيب؛ ضياءً للبصائر والأبصار، وأَظهرَ عجائب الملكوت[3] بخفيِّ توهّمِ وَهَم الأفكار، علَّقَ مصباح القلب في مِشْكاة الصُدور، وأضاءت زُجاجة النّفس من بَوارق طوالع سواطع الأنوار، وأوجدَ عَرْفَ نسيم استرواح القُرب بحضرة حضُورِ أرواحِ الأبرار، القدير الذي قصَّر أفواهَ العقول بيدِ العجزِ عن كُنْه إدراكه، وسَجنها تحت طِبَاقِ الأنوار، اللطيفُ الذي نزَّه دقائقِ أنفاسِ أرواح المقرّبين عن شهود الأكوان، وملاحظة الأغيار، العليمُ الذي بسَط أسرار الأسماء؛ لظهور الحِكْمة وشُهود الحقيقة في الآثار، الرحيمُ الذي جعلنا أدلة المقامات، ومنْبع الكرامات، وأسباب الحِكَم المقرّبات، وينابيع الحِكم وجواهر الأفكار، حرَفَ الأحكامَ بالأسماء والأطوارَ والأكوان بالإرادة، والوجودَ

---

(١) هذا مقتبس من دعاء الرسول ﷺ وفيه: (اللهم أنت الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا من الْفَقْرِ) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الذِّكرِ وَالدُّعَاء والتَّوْبَة وَالاسْتغفارِ، باب: ما يقول عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ ح٢٧١٣.

(٢) سورة الشورى :١١.

(٣) الملكوت : عالم الغيب، والملك عالم الشهادة . معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني١٩٣.

بالمقدار، سبحان الله جلَّ الله، نُور الأنوار. وحروف الجلالة:

أربعةُ أحرُفٍ بها هامَ قلْبي * وتَلاشت هُمُومِي وفِكْري

ألِفٌ ألّفَ الخلائقَ بالصُّنع[1] * ثم لَامٌ على المَلامَة[2] تجْري

ثُم لَامٌ زائدةٌ في المعاني * ثم هَاءٌ أَهِيمُ [بها][3]وأدْري[4]

اسمٌ جعله اللهُ الكريم، للعموم من خلقه بركةً ونماْ، وللخصوص وسيلة ومعنى، أعني: في بسم الله[5]، في بركات حروف الجلالة الربانيّة المعنويّة القلبية، فتقدّمت ألِفُ القوم المعبوديّة، وتأخّرت هاء الهويّة، مُشيرةً بلوامح الرمُوز الخفيّة، إلى الأسرار المعنويّة الصوفيّة الصفيّة، فاسْتُنشِقتْ بنسِيم أسرارِ المعاني والمعارف القُدسيّة، لمن فهِمَ من المشايخ الفقراء المُحققين الصوفيّة العارفين، بركات متابعة الكتاب والسنة، ممّن سبقت لهم الكلمة العلمية بالسعادة الأبديّة السرْمديّة، المخبِرون عن أسرارِ الكتاب والسُنّة السَنِيَّةِ الشرعيّة، بشواهد ينابيع العلُومِ اللَّدُنيّة، المخزونة في القُلوب النورانية، ببركات مُتابعة الآلاء الربانيّة، كما قال الله تعالى

---

(١) في ديوان الحلاّج : (وبالصفح) ١٤٨، ومعه أخبار الحلاج لابن زنجي، تحقيق محمد باسل عيون السود.

(٢) في المخطوطة (المَلائمة)، والتصحيح من ديوان الحلاّج ١٤٨.

(٣) زيادة من النسخة الهندية .

(٤) الأبيات للحسين بن منصور الحلاّج كما في ديوانه ١٤٨، وفي المخطوطة والطبعة الهندية : (ولا أدري) ، ولكن في الديون ما أثبتُه وصححته، فليتنبه لذلك. والله تعالى أعلم. .

(٥) قال السيوطي: ذكر كثيرون في أثر: (أن الله جمع علوم الأوّلين والآخرين في الكُتب الأربعة، وعلومها في القرآن، وعلومه في الفاتحة)، فزادوا علوم الفاتحة في البسملة، وعلوم البسملة في بائها، ووجه: بأن المقصود من كلّ العلوم وُصول العبد إلى الرب، وهذه الباء باء الإلصاق، فهي تُلْصقُ العبد بجنَاب الرب، وذلك كمال المقصود. ذكره الإمام الرازي وابن النقيب في تفسيرهما. الإتقان في علوم القرآن٢/ ٤٢٥، وللإمام القشيري كلام مفيد في معاني البسملة وحروفها، في تفسيره المسمى بلطائف الإشارات١/٤٤.

بـــارئ البريّـــه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [1]، العلُـــومَ اللدُنيّـــةَ، المتحمّلـــةَ رُوح رِيـــحِ يوســـفَ، الكاشـــفِ لأغطيـــة القلُـــوب المرْضِـــيّة، فصـــارت الأفئـــدة بثواقـــبِ الأبصـــارِ والأفكـــار مَجْليّـــة، فلمّـــا اكتحلَـــت مُقْلـــة الأفئـــدة بمُتابعـــة الآداب المحمديّـــة، المشـــروحة فـــي كتـــاب إحيـــاء علـــوم الـــدين الغزاليّـــة[2]، وتنبيـــه أبـــي إســـحاق[3]، ومنهـــاج الطـــالبين وكتـــاب الأذكـــار، وريـــاض الصـــالحين النواويـــة[4]، فـــرأَتْ القلـــوب بعـــينِ اليقـــين، وقـــوة الإيمـــان مـــا وراء الحُجـــب الإلهيـــة، فصـــفَتْ وهامـــت، وسُـــقِيت مـــن الأشـــربة الصـــافية الصـــفيّة، المعبّـــر عنهـــا بـــالعلوم، والطاعـــات، والأفكـــار، والمقامـــاتِ[5] ومواهـــبِ

---

(١) سورة البقرة :٢٨٢.

(٢) نسبةً للإمام الغزالي وهو: محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي نسبته إلى الغزّال، حجة الإسلام، فقيه شافعي أصولي، متكلّم، من أئمة التصوف السُني، رحل إلى بغداد، فالحجاز، فالشام، فمصر، وعاد إلى طوس، من مصنفاته : البسيط، والوسيط، والوجيز، والخلاصة، وكلها في الفقه، وتهافت الفلاسفة، و إحياء علوم الدين وغيرها، وقد نفع الله تعالى بها، توفي سنة(٥٠٥ هـ).انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٠١/٤ .١٨٠، الوافي بالوفيات ٢٧٧/١

(٣) هو: إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآباذي أبو إسحاق الشيرازي، هو الشيخ الإمام شيخ الإسلام صاحب التصانيف التي سارت كمسير الشمس ودارت الدنيا، إمام الشافعية، المدرس ببغداد في النظامية، من شيوخه: القاضي أبي الطيب الطبري، والبيضاوي، والزجاجي، من أشهر مؤلفاته: التنبيه والمهذّب في الفقه، والنكت في الخلاف، واللمع وشرحه والتبصرة في أصول الفقه.توفي سنة٤٧٦هـ انظر: طبقات الشافعة الكبرى٢١٥/٤، وطبقات الفقهاء الشافعية٣٠٣/١.

(٤) نسبة للإمام النووي وهو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن، النووي أبو زكريا، محيي الدين، من أهل نوى من قُرى حوران، جنوبي دمشق، الإمام العلامة في الفقه الشافعي ، والحديث واللغة، تعلّم في دمشق وأقام بها زمناً، من تصانيفه: المجموع شرح المهذب، وأكمله السبكي، والمطيعي، وروضة الطالبين، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، توفي سنة (٦٧٦هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي ١٦٥/٥، والأعلام للزركلي ١٨٥/٩.

(٥) المقامات جمع مقام، وهو: ما تحقّق العبد بمنازلته من الآداب، أو استيفاء حقوق المراسم، وشرطه عند القوم: أن لا ينتقل للثاني حتى يستوفي أحكام الأول، والفرق بينه وبين الحال: أن الأحوال مواهب =

الأحـوال[1] ومعـارفِ الأَسـرار والأنـوار، وعلـوم عـوارف حقـائقِ الحقيقـة، بتقـديسِ تنزيـهِ تسـبيح الأسـماء والصـفات الصّـمديّة، أي: مشـارب التسـابيح، والتقـادِيس، والأخـلاق الرضـيّة، القلبيـة، والقالَبيـة، بمتابعـة الشـريعة النبويّـة: شَـراباً هنيئـاً مريئـاً، فرجَعـت الـنّفس المطمئنـة، إلـى ربهـا راضـيّة مرضـيّة، بعـد الاعتـراف بالخطيئـة واسـتغفارها مـن كـل جنيِّـةٍ، فعنـد ذلـك تاقـت واشـتاقت إلـى الحضـرات القُدسـيّة، بمضـنون مكنـون هـذه العبـارات الشـهيّة، والإشـارات المعنويّـة[2]، التـي لـم تخطـر علـى قلـوب عـوام البريّـة، وذلـك ببركـات مُتابعـة الآي المنزلـة الربانيّـة، والأحاديـث الشـرعيّة والأخـلاق المحمديّـة، وصـلى الله علـى سـيدنا محمـد أفضـل البريّـة، وعلـى آلـه الطـاهرين وأصـحابه نجـوم

=

والمقامات مكاسب. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ١٠٧، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ٦٧٠.

(١) الأحوال: هي الفائضة على العبد من ربّه إما واردة عليه ميراثاً للعمل الصالح، المزكي للنفس المصفي للقلب، وإما نازلة من الحق امتناناً محضاً، وسمّيت بذلك؛ لتحول العبد بها من حال إلى حال. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ٤٧.

(٢) الإشارات : هي تأويل النص الشرعي بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضاً، قال الإمام الغزالي: ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادّعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر كمن يدعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب، أو يدعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك. وقال ابن عطاء الله السكندري: اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله تعالى ولكلام رسوله ﷺ بالمعاني الغريبة .. فذلك ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جُلبت له الآية ودلّت عليه في عرف اللسان، وثَمَّ أفهامٌ باطنة تُفهم عند الآية والحديث، لمن فتح الله على قلبه، وقد جاء أنه ﷺ قال: (لكل آية ظاهر وباطن حد ومطلع)، فلا يَصدنّك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل أو معارضة: هذا إحالة لكلام الله عز وجل وكلام رسول الله ﷺ . فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون إحالة لو قالوا :لا معنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك، بل يُقرّون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما أفهمهم انظر: إحياء علوم الدين ٣٤٣/١،ولطائف المنن ٢٤٨، ٢٤٩، ومناهل العرفان للزرقاني ٥٦/٢ ، وللتوسّع في علم المعاني الإشارية، ينظر كتابي (المعاني الإشارية في السنة النبوية . دراسة تطبيقية من القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري) لكتاب هذه السطور، وهو رسالة دكتوراه طبع بدار الصالح بمصر عام ٢٠١٥ م.

الاقتداء؛ أهل السنة والجماعة؛ أهل العلوم النقلية والعقلية.

(فصل) في ذِكر التوحيد، هو: الله تبارك وتعالى القائمُ بذاته لا بغيره، وكلُّ ما سِواهُ حادثٌ بعد العدم، وإنما لها الوجود من غيرها على سبيل العاريّة، والوجود لله تعالى ذاتي ليس بمُستَعار، فقد ألزم سبحانه وتعالى كل ما سِواه الحدَثَ، فهو بائنٌ بصفاته من خلقه، فكلُّ مَا قامَ بغيره فالضرورة تمُسّه، وكلُّ ما بالحياة قِوامهُ فالموتُ يُعدِمُه، وكلُّ ما بالجسم ظُهوره، فالعرَضُ يلزَمُه، وكلُّ ما كان بالأدوات اجتماعه فقُواها تُمْسِكه، وكلُّ ما يؤلِّفه وقت يُفرقه وقت، وكلُّ ما آواه محلٌ أدركه أين، وكلُّ ما كان له جنسٌ لازمَه نوع، وكلُّ ماله عَرْضٌ فالطول مساحته، وكلُّ ما يظفر به الوَهم فالتصوير يرتقي إليه، والذي يسكن حركتُه[1] يغيب عن غيره، وكلُّ ما له جِرْمٌ كان له وزن، وكلُّ ما يَسكن يتحرّك، وكلُّ ما يتحرّك يسكن، وكلُّ ما يرتفقُ بشيء فالفاقة تَلْحقه، وكلُّ ما يُذكَّر فله النسيان، وكلُّ من يُفكّر فمشغول، وكلُّ ما يُشار[2]أو يُورّى فناقص، والله تعالى منزّه عن ذلك كُلِّه كما قال عزَّ من قائل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[3]، فاعلم أن ذات[4] الوجود مكتوبٌ على صفحات ألواح نسيْماتِها بقلم التوحيد، ﴿كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ﴾[5]، ومعْلَماتٌ . أي: إشارات ووسائل . تنْطِقُ لسانَ كُلِّ مُحْدَثٍ، دالةٌ على وحدانية الصّمد، المُحدِثِ بصحيح نتيجة: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[6]،

---

(١) في الأصل [حر] ولعلّه تصحيف، والتصحيح من النسخة الهندية .

(٢) في الأصل [يشاور] ولعلّه تصحيف، والتصحيح من النسخة الهندية .

(٣) سورة الشورى :١١.

(٤) كذا في الأصل، والنسخة الهندية، ولعلَّ ذلك خطأ من الناسخ، وأن الصواب :[ذرات]، والمراد: أن كل شيء ، دقّ أو جلَّ صغر أو كبُر يشهد بوحدانية الله تعالى، ويدل على وجوده تعالى، قال تعالى : (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)، وقد صدق من قال: وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ * تدلُ على أنّه الواحد.إحياء علوم الدين١/ ١٠٣.

(٥) سورة سبأ ٢٧.

(٦) سورة الإخلاص :١.

فيا مُنزِّه المالِك عن دعاوى النصرانيّة، والمقرّ بأنه تعالى مُقدّسٌ عن باطل إفك شِرك الوثنيّة، وقول المجُوسيّة، إيّاك أن تجعلَ له في مُلكه شريكاً يُعبد أو ثانياً يُعرض:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ [1]،﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [2]، واعلم أن الحق سبحانه وتعالى لا ينحصر في حدٍّ، ولا يتّحدُ في جهةٍ، ولا ينْثني بعَدٍّ، ولا يتمثّل في وهمٍ، ولا يتكيّف لفهمٍ، تعالى عن التمثيل والضّد، وتقدّسَ عن التشبيه[3] والنِّد، وتنزّهَ عن الوالد والصاحبة والولد، ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ [4]، فالصمد: الذي لم يلد ولم يولد؛ لأنه ليس شيءٌ يُولد إلا سيمُوت، ولا شيء يموت إلّا يُورث، وأنه الله سبحانه حيٌّ لا يموت ولا يُورث، ولم يكن له كفواً أحد، يقول عزّ من قائل لم يكن له شبيهٌ ولا عديل و﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [5]،﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [6]، فجميع مَلكوته عزّ وجل مُرتّب بتدبيره، مصرّف بتقديره، مزموم بزمامِه، مقيّدٌ بقيود جنود أوامره وأحكامه، محصُورٌ في إحاطته، موقوفٌ على حدِّه، مضطرٌ إلى إرادته ومشيئته، كما قال تعالى:﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [7]،﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ

---

(١) سورة الحج : ٧٣.

(٢) سورة المؤمنون: ٩١ – ٩٢.

(٣) في النسخة الهندية : [الشبيه]

(٤) سورة الإخلاص: ١ – ٤.

(٥) سورة الشورى : ١١.

(٦) سورة الأنعام : ١٠١ .

(٧) سورة الملك : ١٤.

تُرْجَعُونَ ﴾ [1]، لا تتحرّك ذرّة إلّا بإذنه، لا حاكمَ فيه غيره، ولا مُدِّبر سِواه، لا يخرج عن مشيئته لفْتة ناظرٍ، ولا فلْتة خاطرٍ، هو الله الذي لا إله إلا هو، الواحد الكبير المحيط بجميع ما خلق، القائم على كل نفس بما كسبت، الفعّال لما يُريد لا رادّ لحكمه، ولا معقّب لقضائه، ولا مَهربَ لأحدٍ عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته، ولا قُوّة على طاعته إلا بمعونته وإرادته، هو أكبرُ من أن يُنال بالحَواس، أو يُدرك كُنْهُ جلالهِ بالعقل والقياس، لا يدركه العقل من جهة التمثيل، ويدركه من جهة الدليل: ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴾ [2] .

(فصل) في اعتقاد أهل السنة ما نظمه الشيخ الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي[3] رحمه الله ونفع به آمين..

---

(١) سورة الزخرف : ٨٥.

(٢) سورة الطلاق : ١٢.

(٣) هو: عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان بن فلاح اليافعي، الحِميري الشافعي الأشعري اليمني ثم المكي عفيف الدين أبو السعادات، ولد قبل السبعمائة بسنتين أو ثلاث، وذكر أنه بلغ الحلم سنة ٧١١ هـ ، وأخذ بعدن عن العلامة أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهينى المعروف بالبصال، وعن شرف الدين أحمد بن على الحرازي، قاضي عدن ومفتيها، ونشأ على خير وصلاح وانقطاع، ولم يكن في صباه يشتغل بشيء غير القرآن والعلم وحج سنة ١٢ وصحب الشيخ علياً الطواشي، فسلكه وحفظ الحاوي والجمل، ثم جاور بمكة من سنة ١٨، وتزوّج بها، ولازم مشايخ العلم، ومن شيوخه: الفقيه نجم الدين الطبري، وكان كثير التصانيف، وله قصيدة تشتمل على عشرين علماً وأزيد، وكان كثير الإيثار للفقراء كثير التواضع، مترفعاً على الأغنياء، مُعرضاً عمّا بأيديهم، كثير الإحسان للطلبة، من مؤلفاته: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وروض الرياحين في حكايات الصالحين، ونشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية، و مرهم العلل المعضلة في الردِّ على أئمة المعتزلة، وغيرها. وكانت وفاته في العشرين من جمادى الآخرة سنة ٧٦٨ هـ، وقد ترجم له الشيخ احمد بن أبي بكر بن محمد بن سلامة المصري السلمي الموزعي سمّاها المسلك الارشد في مناقب الشيخ عبد الله بن أسعد. انظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي١٠/٣٣، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر٣/ ١٨، وطبقات الشافعية لابن أبي شهبة٣/ ٩٥، والأعلام للزركلي٤/ ٧٢.

عــلَا ربُّنــا عــن كيــفَ أو أيــنَ أو متــى وعــن كُــلِّ مــا فــي بالِنــا يَتَصَــوَّرُ

ونقْــصٍ وشِــبْهٍ أو شــريكٍ ووالِــدٍ وَوُلْــدٍ وزوْجــاتٍ هَــوَ اللهُ أكبــرُ

كــلامٌ قــديمٌ حِــين لا حَــرْفَ كــائِنٌ ولا عَــرَضٌ حاشَــا وجِسْــمٌ وجــوْهرُ

مُريــدٌ وحــيٌ عــالِمٌ مُــتَكِلمٌ قــديرٌ علــى مــا شــاء ســميعٌ ومبُصِــرُ

بســمْعٍ وعلْــمٍ مــع حيــاةٍ وقُــدْرَةٍ كــذلِكَ باقِيْهــا يلِــيْ الكُــلَّ مَصْــدَرُ[1]

ولــيسَ عليــهِ واجِــبٌ بــل عِقابُــهُ بِعَــدْلٍ وَعَــنْ فضْــلٍ يُثيــبُ ويَغفِــرُ

مُحكِّــمُ شَــرْع دُوْنَ عَقْــلٍ وقــدْ قضَــى[2] بخيــرٍ وشــرٍّ للجميــعِ مُقَــدَّرُ

ورؤيتُــهُ حَــقٌّ كــذاكَ شــفاعةٌ وحَــوْضٌ وتَعــذِيبٌ بقبْــرٍ ومُنْكَــرُ

وبَعْــثٌ وميــزانٌ ونــارٌ وجنَّــةٌ وقــدْ خُلِقــا ثُــمَّ الصِّــراطُ وتَصْــدُرُ

عظــيمُ كَرَامــاتٍ عــنِ الأولِيــاء وقَــدْ مَحــا شــرْعُنا العــالِي الزكِــيُّ المُطهَّــرُ

شــرائعَ كُــلَّ المُرسّــلِينَ وأحمَــدٌ خِيــارُ الــوَرَى المــولَى الشَّــفيعُ المُصَــدَّرُ

---

(١) يريد الإمام اليافعي . رحمه الله . أن باقي صفات الله تعالى الواجبة هي صفات المعاني وهي سبع ، وقد ذكر أربعاً منها وهي : القدرة، ، العلم، الحياة، ، السمع، وترك ثلاثاً وهي: الإرادة، البصر، الكلام، وقال :كذلك باقيها يلي، وهي مأخوذة من مصادر الصفات المعنوية السبع . وقد أنكرها المعتزلة وبعضهم . وهي: قدير، عليم، حي، سميع، مُريد، بصير، مُتكلّم . والله تعالى أعلم . .

(٢) في الأصل : مضَا، وفي النسخة الهندية [قَضَى]، وهو الموجود في روض الرياحين لليافعي ٤٣٣ .

وأَصـــحَابُهُ خَيـــرُ القُـــرُونِ وخَيْـــرُهُمْ علـى وَفْـقِ مَـا قَـدْ قُـدِّمُوا ثُـمَّ أُخِّـرُوا

نُجُـومُ الهُـدى كُـلٌّ عُـدُولٌ أُولُـوا النَّـدَى فضـــائِلُهُم مَشْـــهورةٌ لـــيْسَ تُنْكَـــرُ

وأَفْضـــلُهُم صِـــدِّيقُهُم صَـــاحِبُ العُـــلا ورابِعُهُـم فـي الفضْـلِ ذُو الفضْـل حيْـدَرُ

وتخليـــدُ نَـــارٍ لَـــيسَ إلّا لِكـــافِرٍ وقِبْلتُنَـــا مَـــنْ أَمَّهَـــا لا يُكفَّـــرُ

[سِـــوى مَـــنْ بتـــأثيرِ الطبـــائعِ[1] قائـــلٌ كـــذلِكَ مَـــنْ قَـــالَ النُّجـــومُ تُـــؤثِّرُ

بـــذاتِهِمَا أو رَبُّنَـــا غيـــرُ قـــادِرٍ كـــذا غيْـــرُ مُخْتـــارٍ إذاً لـــيسَ يَقْـــدِرُ[2]

وغَيْـــرُ قـــديمٍ[3] قـــالَ أو غيـــرُ عَـــالِمٍ أو العلـــمُ بـــالموجُودِ مـــا الغَيـــرُ يُخْبِـــرُ

أو الكُلِّيـــاتِ الـــرَّبُّ يعلَـــم لا سِـــوى وفـــي جُزْئيـــاتٍ عِلْمُـــهُ مُتعـــذِّرُ

ومُثْبِـــتُ مَنْفـــيٍّ ونـــافيْ لمُثبَـــتٍ مِـنَ الوصْـفِ اجماعـاً لـه جَـلَّ[4] يَكْفُـرُ

ومَـــنْ باتِّحـــادٍ أو حُلُـــولٍ يقـــولُ أو قـــديمٌ يقـــولُ العـــالِمُ الكفـــرُ يَظْهـــرُ

---

(١) في روض الرياحين لليافعي ٤٣٤: (بتأثير الكَهانةِ).

(٢) في روض الرياحين لليافعي ٤٣٤: (إذا ليس يعذر).

(٣) في روض الرياحين لليافعي ٤٣٤: (وغير قدير).

(٤) في روض الرياحين لليافعي ٤٣٤: (إجماعه له الجُلَّ يكثر).

وأهـــــلُ إباحـــــاتٍ كـــــذا باطِنيَّـــــةٌ ومَـــنْ عنـــهُ اسْـــقاطُ التكـــالِيفِ يَـــذْكُرُ

ومَـــنْ مِـــنْ غُـــلات الـــرفْضِ قـــالَ نبيُنـــا علـــــيٌّ، وهـــــذاكَ النـــــذِّيرُ المُبشِّـــــرُ

ولكنمَّـــــا جبريـــــلُ أخطـــــأ بوَحْيـــــهِ بـــذا الرافضـــيُّ المـــارِقُ الـــنَّجْسُ يقْشُـــرُ[1]

ومَـــنْ ينْسِـــبُ الفحْشَـــا لعـــائش وقـــد لهـــا بَـــرأَ الـــرَّبُ فـــي القـــرآنِ[2] عنهـــا يُطهِّـــرُ][3]

فهَـــا هـــي حَـــوَتْ مـــعْ صُـــغْرِها مـــا عَســـاهُ لا يُـــرى فـــي كثيـــرٍ مِـــنْ عقائِـــدَ تَكْبُـــرُ

عقائـــد أهـــلِ الحـــقِ فـــي خمْـــسِ عشـــرَةٍ مـــن الـــنظمِ تَجْـــزِي[4] مَـــنْ لهـــا يَتـــدَبَّرُ[5]

---

(١) في روض الرياحين لليافعي ٤٣٤: (النجس يفشر) بالفاء .

(٢) في روض الرياحين لليافعي ٤٣٤: (برّأَ الرحمن عنها يُطهر).

(٣) من قوله : [سِوى من بتأثير الطبائع ... هذا البيت : ومن ينسب الفحشا لعائش الخ] مابين المعكوفين، زادها الإمام عبد الله اليافعي ، في كتابه روض الرياحين في حكايات الصالحين بتحقيق محمد عزت ص٤٣٣، من القصيدة المذكورة، وقد سمّى هذه القصيدة الطويلة: (شمس الإيمان في توحيد الرحمن، عقيدة أهل الحق والإيقان، والتشويق إلى الجنان، والحور الحسان، والتخويف من النيران، ووعظ الإخوان) وهي أكثر من ١٥٠ بيتاً . وقد قال فيها قبل الأبيات التي نقلها سيدنا العيدروس : وها هي لها أُلّفت في خمسِ عشرةٍ * قواف وعشر في طوائف كفر. وها هي لها ألفت في نظم خمسة * وعشرين تجزي من لها يتدبّر.ثم ذكرها: علا ربنا، وفيها أصول العقائد، وعدد أبياتها ١٥ بيتا، ثم اتبعها بعشرة أبيات في الطوائف الكافرة.

(٤) في الأصل : (تجري) والتصحيح من النسخة الهندية .

(٥) شرح هذه القصيدة أبو بكر عميرة الحضرمي من أهل القرن الثامن الهجري، أسماه: كشف العيان بالدليل والبرهان عن عقيدة أهل الحق والإيقان، وشرحها أيضاً العلامة محمد بن عمر بحرق الحضرمي المتوفى سنة ٩٣٠هـ، وأسماه : الحواشي المفيدة على أبيات اليافعي في العقيدة، طبعت مع أصلها بهامش شرح بداية الهداية للفاكهي بمصر، سنة ١٢٩٦هـ. انظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر١٣٦. وقد ذكرهما الحبشي في مصادر الفكر الإسلامي في اليمن١٣٤،١٢٥.

(فصـــل) فـــي بيـــان الطـــرق عـــن القـــوم العـــارفين، وهـــي ثلاثـــة: شـــريعة، وطريقـــة، وحقيقـــة[1]، يُقـــال: الشـــريعة كالســـفينة، والطريقـــة كـــالبحر، والحقيقـــة كالـــدُّر؛ فمَـــن أراد الـــدُرَّ ركِـــبَ الســـفينة، ثـــم شـــرع فـــي البحـــر ثـــم وصـــل إلـــى الـــدُّر. فـــأوّل صـــواب[2] علـــى الطالـــب هـــو: الشـــريعة، والمـــراد بالشـــريعة: مـــا أمـــرَ اللهُ ورســـوله مـــن: الوضـــوء، والصـــلاة، والصـــوم، وأداء الزكـــاة، والحـــج، وطلـــب الحـــلال، وتـــرك الحـــرام وغيـــر ذلـــك مـــن الأوامـــر، والمنـــاهي، وذكـــر الشـــيخ الإمـــام عبـــد الله بـــن أســـعد اليـــافعي . نفـــع الله بـــه .: أن الشـــريعة كـــاللبن، والطريقـــة كالزُبـــد والحقيقـــة كالسَّـــمن، فهـــل يُتصـــوّر زُبْـــدٌ وســـمنٌ مـــن غيـــر لـــبن؟ فلابـــدَّ مـــن الســـلوك بمتابعـــةِ الشـــريعة ظـــاهراً وباطنـــاً، وقطـــعِ المقامـــات، وهـــي مشـــروحة فـــي كتـــاب: نشـــر المحاســـن، لليـــافعي، فالمقامـــات كالأشـــجار والأحـــوال كـــالثمر، والمقامـــات مكاســـب، والأحـــوال مواهـــب، والكـــلُّ مشـــرُوحٌ فـــي كتـــاب نشْـــر المحاســـن. واعلـــم أن الطريقـــة الأخـــذ بـــالتقوى، والحقيقـــة الوصـــول إلـــى المقصـــد، ومشـــاهدة نـــور التجلّـــي[3]، وحقيقـــة المقامـــات: منـــازِلُ القلـــوب، وأولهـــا: امتثـــال[4] الأوامـــر، وتـــرك المنـــاهي، والآخـــر: معرفـــة عيـــوب الـــنفس، وتنقيّـــة الـــنفس مـــن الصـــفات الذميمـــة، والتحلّـــي بالصـــفات الحمِيـــدة، وذكـــر المـــولى، وعيـــوب الـــنفس كثيـــرة، وأعظمهـــا: إعجـــابُ المـــرءِ بمـــا فعـــل مـــن الطاعـــات، وشـــرْط الســـالك[5] لا يصـــعد مـــن

---

(١) الطريقة: هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ٨٥.

(٢) كذا في الأصل ، وفي الكبريت الأحمرص٢٩ للإمام العيدروس : (فأول واجب)، ولعلّه الأقرب للمراد . والله تعالى أعلم . .

(٣) التجلي : ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني١٦٧.

(٤) في النسخة الهندية: [امتثال] .

(٥) السالك : هو السائر إلى الله تعالى، المتوسط بين المريد والمنتهي ما دام في السير. انظر: معجم اصلاحات الصوفية للكاشاني ١١٤.

مقـام إلـى مقـام حتـى يسـتوفي حـدّ المقـام الأوّل، وأمـا الأحـوال فهـي مـا نـزَلَ علـى القلـب مـن: طـربٍ أو قـبْضٍ أو بسْـطٍ أو شـوقٍ أو ذوقٍ أو هيبـةٍ أو أُنـسٍ أو وُجـدٍ أو تواجـدٍ أو جمْـعٍ أو فـرْقٍ أو فنـاءٍ أو بقـاءٍ أو غَيبـةٍ أو سُـكرٍ أو صـحوٍ أو شـربٍ معنـوي، كمـا[1] يجدونـه مـن ثمـرات القُـرب، ونـور التجلـي، ونتـائج المكاشـفات، أو رِيٍّ أو محـوٍ أو إثبـات أو تسـتّر أو تجلّـي أو حضـور أو محاضـرة أو لـوائح أو لوامِـع[2] أو طوالِـع أو تكـوين أو تمْكـين أو غيـره[3]، وأمـا الأنفـاس[4]: فتـروّيح القلـب بلطـائف الغُيـوب، وصـاحب الأنفـاس أرقُّ وأصـفى مـن صـاحب الأحـوال، وصـاحب الأحـوال أرقُّ وأصـفى مـن صـاحب المقامـات[5]، وصـاحب المقامـات أرقّ وأصـفى مـن العابـد، والعابـد علـى ظـاهر العلـم أرقُّ وأصـفى مـن العـوام العابـدين بـالرُخص، وصـاحب الـرُّخص أرقُّ وأصـفى مـن المُهمِـل، والكامـل مـن اتّصـف بـالجميع، وهـم: العلمـاء بـالله وبـأمر الله، الجـامعون[6] بـين الشـريعة، والطريقـة والحقيقـة أهـل الوراثـة : العلمـاء ورثـة الأنبياء.

---

(١) في الأصل [عمّا]، والمثبت من النسخة الهندية.

(٢) اللوامع : أنوار ساطعة تلمع لأهل البدايات من أرباب النفوس الضعيفة الطاهرة فتنعكس من الخيال إلى الحس المشترك ، فتصير مشاهدة بالحواس الظاهرة، فيتراءى لهم أنوار كأنوار الشهب والقمر والشمس فتضئ ما حولهم .انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني٨٧.

(٣) انظر: التعريفات للجرجاني ١١٠، وقد بيّن معاني هذه الألفاظ الإمام العيدروس في كتابه القيّم: الكبريت الأحمر١٣.

(٤) النَّفَس عند العارفين يطلق على عدّة معان باطنية :١. النَّفَس روح يبعثه اللَّه على نار القلب ليطفئ شررها، ولهذا قال الجنيد رحمه الله : أُخِذَ على العبد حفظُ أنفاسه على ممرِّ أوقاته. وقال صاحب المرشد المعين: يحاسب النّفس على الأنفاس .. ويزن الخاطر بالقِسطاس. ٢. النَّفَس ترويح القلوب بلطائف الغيوب ولعلَّ كلام المؤلف عن هذا ،٣. النَّفَس الرحماني: هو حضرة المعاني. انظر: المعجم الصوفي ٧٥.

(٥) انظر: الرسالة القشيرية٤١، ومعراج التشوف إلى حقائق التصوف٣٨.

(٦) في الأصل : (الجامعين)، ولعلّه خطأ . والله أعلم . .

(فصل) ومن علوم القوم: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين[1]، علم اليقين لأرباب العقول، وعين اليقين لأهل العلوم، وحق اليقين لأهل المعارف والمشاهدات، ومنها: المشاهدة أعني: مُشاهدة القلب على ما كان الغالب على القلب من مشاهدة علم وأحوال أو مُكاشفات، والنفس الأمارة: ما في قلب العبد من الأخلاق الذميمة، والنفس المطمئنة : لطيفة القلب مجْمع الخِصال الحميدة، والروح: لطيفة القلب الرّوحاني، ولها ترقّي معنوي في حال النوم ومفارقة البدن، ثم الرجوع إليها، وأن الإنسان : الروح والجسد؛ لأن الله تعالى سخّر هذه الجملة بعضها لبعض والحشر يكون للجملة، والثواب والعقاب للجملة، والأرواح مخلوقة، والروح معدن الخير، والنفس معدن الشر، والعقل حبسُ .كذا، والأقرب جيش .[2] الروح، والهوى حبس النفس، والسِّر: نورٌ معنويٌ محلُّ المشاهدة، والأرواح محلُّ المحبة، والقلوب محلُّ المعارف. وقال بعض العارفين: السِّرُ مالكَ عليه إشرافٌ، وسرُّ السِّرِ مالا اطلاعَ عليه لغير الحقِ[3]، والسِّرُّ أشرفُ من الرّوح، والرُّوح أشرف

---

(١) علم اليقين: ظاهر الشريعة، وعين اليقين: الإخلاص فيها، وحق اليقين: المشاهدة فيها. انظر: التعريفات للجرجاني٧٣.

(٢) كذا في الأصل، وفي النسخة الهندية : (حبس) ولعلّه تصحيف، وفي الكبريت الأحمرص٤٤ لسيدنا العيدروس : (جيش)، في الجملتين معاً، هكذا : والعقل جيش الروح، والهوى جيش النفس. ولعلّه الصواب والأقرب؛ لأن الجملة لا تستقيم بمعنى الحبس، وهو المنع أو الوقف! بينما تستقيم بالجيش، فالعقل بمثابة جيش الروح ؛ لحفظه والعناية به، وكذا الهوى جيش للنفس الأمارة، يجرها للمهالك ! وممّا يدل على ما ذكرت من المعنى ماقاله ابن القيم : (فيتَساعدُ جيش الشبهة والشهوة على جيش العقل والايمان، والغلبة لأقواهما).الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص١٤٥ .

(٣) السِّرُ لغة: ما يُكتم، والسِّر في اصطلاح أهل الحقيقة : لطيفةٌ مُودعة في القلب كالروح في البدن، وهو محلُّ المشاهدة، وما خفي عن الخلق، فلا يعلم به إلا الحق سبحانه وتعالى. والسِّرُ ثلاثة أنواع : سِرٌّ العلم، وهو حقيقةُ العالِمين بالله عزّ وجل ، وسرُّ الحال، وهو معرفة مُراد الله في الحالِ من الله ، وسرُّ الحقيقة، وهو ما وقعتْ به الإشارة . وسرُّ السِّرّ ما انفرد به الحقُّ تعالى عن العبد ، كالعلم بتفصيل =

من القلب، وصدورُ الأحرار قبورُ الأسرار[1] والله أعلم.

(فصل) في انموذجٍ من سلُوك طريق القوم: التوبةُ أوّل المنازل والمقامات، ولها ثلاثة شروط: الندم على ما عمِل من الذنوب، وترك المعصية في الحال، والعزم على أن لا يعود أبداً، وإن تعلّق به حق آدمي فلها شرط رابع وهو: الخروج من الحقوق، فمَن تاب، ثم نقض توبته، ثم تاب قُبلت توبتُه ثانياً، وثالثاً إلى غير نهاية، ما دامتَ لتوبته الشرائط المذكورة[2]. ومِثْلُ ما يُقدّرُ عليه من الذنوب يأخذ بالتوبة. (حكاية) لمرتّدٍ تاب، ثم فَتَرَ، وكان يُفكّر وقتاً لو عاد إلى التوبة كيف حُكمه؟ فهتفَ به هاتفٌ: يا فلان أطعتنا فشكرنَاك، ثم تركتنا فأمهلناك، فإنْ عُدتَ إلينا قبلناك[3].

(فصل) في المُجاهدة (٤)، المجاهدة هي: الجوع، والصّمت، والعزلة، والسهر، وتلاوة القرآن.

(فصل) في العزلة، يعْتقِدُ باعتزالهِ عن الخلقِ سلامةَ الناسِ مِنْ شرّهِ، وأنّه حارسُ كَلْبٍ طبْعُه لا يعْقَرُ[5] الناسَ.

= الحقائق ، قال تعالى: (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو).انظر: الإملاء في اشكالات الإحياء للغزالي ص٧، ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني١١٥، والمعجم الصوفي للرضواني ١٣/ ٧٥.

(١) انظر: الرسالة القشيرية٤٤.

(٢) انظر شروط التوبة : الرسالة القشيرية٤٤، وشرح صحيح مسلم للنووي ٢٥/١٧.

(٣) ذكرها في الرسالة القشيرية عن الإمام أبي عليٍّ الدَّقاق٤٥، ولكن قال : تاب بعض المريدين، وليس لمرتد.

(٤) المجاهدة مُفاعلة من الجهد فتحاً وضماً، وهو الإبلاغ في الطاقة والمشقة في العمل، ويستعمل في المحاربة، وفي عُرف القوم: محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها ممّا هو مطلوب في الشرع، وقيل حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ٦٣٨.

(٥) كذا في الأصل، والنسخة الهندية: (لا يعقر)، وأصل القصة في الرسالة القشيرية ٤٩، وفيها: ورؤي بعض الرهبان، فقيل له: إنك راهب. فقال: لا، بل أنا حارس كلب؛ إن نفسي كلب يعقر الخلق أخرجتها =

(فصل) في التقوى، أصل التقوى: اتقاءُ الشّركِ ثم مِنْ بَعْدِهِ اتّقاءُ المعاصي، ثم مِنْ بَعْدِهِ الشهوات، ثم مِنْ بَعْدِهِ اتقاءُ الفضَلَات.

(فصل) في الخوف والرجاء، الخوف: ترك معصية الله؛ مخافة عقاب الله، والرجاء: حُسن الطاعة؛ طمعاً في نيل الثواب، والرجاءُ الكاذب التّمادي في الذنب والتمنّي، والخوف والرجاء من شروط الإيمان، ومن زال الخوف منه والرجاء خرِبَ قلْبُهُ.

(فصل) في الحُزن المحمود، وهو حُزْنُ الآخرةِ، والندمِ على الذنوبِ، والحزنُ فضيلةٌ، وزيادةٌ للمؤمن ما لم يكن بسببِ معصية[1].

(فصل) في الخشوع [2]، حقيقة الخشوع: خُشُوعُ القلبِ كما قال المصطفى

=
من بينهم؛ ليسلموا منها.

(١) أي لأجل فوات معصية . والعياذ بالله تعالى . والحزن لذلك حرام. فلهذا فإن المسلم إذا وقع في شيء من الذنوب يجب عليه المبادرة بالتوبة، ومن شروطها :الندم على فعلها، و إذا لم يفعل السيئة ولكن تركها عجزاً وكسلاً وهو متحسِّرٌ على تركها لفواتها فهذا آثم، وتارك السيئة الذي لا يعملها على ثلاثة أقسام : ١. تارة يتركها لله، فهذا تكتب له حسنة على كفّه عنها لله تعالى، وهذا عمل ونية ولهذا جاء أنه يكتب له حسنة كما جاء في الحديث القدسي: (فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا له بِمِثْلِهَا وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا له حَسَنَةً إنما تَرَكَهَا من جَرَّايَ) أي: من أجلي. رواه مسلم في صحيحه ك:الإيمان، بَاب إذا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ وإذا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لم تُكْتَبْ ح ١٢٩ . ٢. وتارة يتركها نسيانا وذُهولاً عنها، فهذا لا له ولاعليه، لأنه لم ينو خيراً ولافعل شراً.٣. وتارة يتركها عجزاً وكسلاً عنها بعد السعي في أسبابها والتلبّس بما يقرب منها، فهذا بمنزلة فاعلها كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ في النَّارِ) فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ هذا الْقَاتِلُ فما بَالُ الْمَقْتُولِ، قال: (إنه كان حَرِيصًا على قَتْلِ صَاحِبِهِ) رواه البخاري في صحيحه ك: الإيمان، بَاب { وَإِنْ طَائِفَتَانِ من الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا } فَسَمَّاهُمْ الْمُؤْمِنِينَ) ح ٣١. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٩٨/٢.

(٢) الخشوع في اصطلاح أهل الحقيقة: الانقياد للحق، وقيل: هو الخوف الدائم في القلب. انظر: التعريفات للجرجاني ٨١.

ﷺ في المصلِّي: (لو خَشَعَ قَلْبُه خشَعَتْ جَوَارِحُهُ)[1]، وبُعْدُه من الذنوب، وطاعة علّام الغيوب.

(فصل) في مخالفة النفس، وأقوى أركان الوصول إلى الله، مخالفة النفس، وأرفعُ الدرجات عند الله مخالفة النفس، والنفس على ثلاثة أوجه: مُطمئنّة، ولوّامة وأمّارة بالسوء؛ فالمُطمئنة هي: التي اطمأنت بطاعة الله تعالى، ولا تطلب مخالفةَ أمره، واللوّامة هي: التي تلُوم الرجلَ على الذنوب، وتحْمِله على التوبة والإنابة، والأمّارة هي: التي تأمر بالسوء، وهي المُهلكة لصاحبها، وهي أعظم حجاب بين العبد وبين ربه، وعند العارفين: دواءُ النِّفس مخالفتها، وينبغي للطالبِ أن يُخالفَ نفسه، ولا يقبل منها شيئاً إلا ما يُوافق رضى الله تعالى.

(فصل) في الحسد والغيبة، فالحسدُ: أن يطلب الشخص زوال نعمةٍ كانت عند أحد من المسلمين، والحسدُ أشدُّ شيءٍ يُبعدُ صاحبه عن الله؛ لأنه لا يرضا بقضاء الله تعالى. وعند العارفين: الحسُود لا يَسود [2]، والغِبْطة جائزة وهو: أن يرى الرجل أحداً في صلاحٍ أو خيرٍ أو مالٍ، فيتمنّى أن يكون مثله من غير أن يتمنّى زوال تلك النعمة عن ذلك الشخص. والغِيبة: أن تذكرَ أخاك في غَيْبَتِهِ بما يَكره، ولو كان فيه، فإنّ لم يكن فيه فهو بُهتَان[3]، والبُهتان أشدُّ من الغيبة،

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي مرفوعاً في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة ﷺ ٣/ ٢١٠، وفي سنده سليمان بن عمرو، وهو مُجمع على ضعفه. انظر: طرح التثريب للعراقي٢/ ٣٣٣ ، و تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزيلعي٢/ ٣٩٩ ، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه من قول سعيد بن المسيب في مصنفه٢/٢٦٦، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢/٨٦.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية٧٢، وأدب الدنيا والدين للماوردي ٣٣٨، والمقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي ٣٠٨.

(٣) فعن أبي هُرَيْرَة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال :(أَتَدْرُونَ ما الْغِيبَةُ، قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إن كان في أَخِي ما أَقُولُ. قال: إن كان فيه ما تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لم يَكُنْ فيه فَقَدْ بَهَتَّهُ) أخرجه مسلم في صحيحه ك: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الغيبة ح ٢٥٨٩.

وكلاهما لا يرتفعان بالتوبةِ، بل التوبة أن يَستحْلل منه، ولكن الاستحلال بعد التوبة بشروطها والاستغفار له والدعاء . اغتاب بعض الناس الحجّاج عند بعض المشايخ، فقال الشيخ: إنّك كما اغتبتَه اليوم يأخذُ من حسناتك يوم القيامة[1].

(فصل) في القناعة، القناعة عند العارفين: الاكتفاءُ بالموجود، وزوال الطمع عن المفقود، وقال العارفون[2]: مَنْ قنِعَ استراحَ من أهلِ زمانه، واستَطال على أقرانه. وقالوا: مَنْ قنِعَ استراحَ من الشَغْل، واستطال على الكُلِ[3].

(فصل) في التوكّل، المتوكِّل: يكِلُ أمره إلى الله تعالى، ويرضا بما يَجري عليه من قضاء الله تعالى وقدَره، والتوكّل محلُّه القلب، والحركةُ في الأسباب لا يُنافي التوكّلَ بعد تحُّققِ العبد أن التقدير من قِبَلِ الله سبحانه وتعالى، فإنْ تعسّرَ شيءٌ فبتقديره، وإن اتفقَ شيءٌ فبتيْسِيره، وشروط المتوكّل عند العارِفين هو: طرْحُ البدن في العُبودية[4]، وتعلّق القلب بالربُوبيّة، والطمأنينة بالكِفاية، فإن أُعطي شكرَ، وإن مُنِع صبَرَ، وكان العارفون لا تُفارقهم صُحبة إبرةٍ وخُيوطٍ وركْوةٍ ومِقرَاض وزادٍ[5]، مع

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية٧٣، وإحياء علوم الدين٣/ ١٥٣.

(٢) العارفون: جمع عارف، والعارف مَنْ أشهده الله تعالى صفاته وأسماءه وأفعاله، فالمعرفة حال تحدثُ من شهوده. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني١٢٤.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية٧٤.

(٤) العُبودية: لصفوة الخلق الذين صححوا النسبة إلى الله تعالى بصدق القصد إليه في سلوك طريقه، والعبادة هي التذلل لله تعالى وحده، وهي لعامة الخلق. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني١٢٠.

(٥) روى الحافظ ابن الجوزي بسنده عن الفرغاني قال: (كان إبراهيم الخواص مُجرداً في التوكل يُدقق فيه، وكان لا تفارقه إبرة وخيوط وركوة ومِقراض، فقيل له: يا أبا إسحاق لِمَ تجمع هذا وأنتَ تمنع من كل شيء؟ فقال: مثل هذا لا ينقض التوكل؛ لأن الله تعالى فرض علينا فرائض، والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد فربما يتخرّق ثوبه، وإن لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته؛ فتفسد عليه صلواته، وإن لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته، وإذا رأيتَ الفقير بلا ركوة ولا إبرة ولا خيوط، فاتّهمه في صلاته) تلبيس إبليس٣٨٦، وانظر: مدارج السالكين٢/١٣٣.

تعلّق القلب بالله، والتوكّل عليه، ومعرفة الأشياء منه وإليه، وينبغي أن لا يخاف إلّا الله تعالى، ولو انقطع المطرُ سنين لا يهتمّ لأجلِ رزقِه، وإن اهتمَّ لسدّ فاقته ولعائلته كان همُّهُ كفّارة لذنوبه[1]، وإن انقطعَ المطر أيضاً سألَ الرحمة من الله تعالى للناس، فإنّ انقطاع المطر عذاب من الله تعالى للناس.

(فصل) في الشُكر، حقيقة الشُكر عند أهل الحقائق: الاعتراف بنعمةِ المنعم على وجه الخضوع[2]، ووصفَ الله تعالى نفسه بأنّه شكور معناه: عطاؤه الكثير من الثواب على العمل اليسير، وإنْ اشتقْت إلى أنموذجٍ من حلاوة الشّكر، فانظر إلى من هو دُونك في جميع الأُمور، ولا تنظر إلى مَنْ هو فوقك أصلاً[3]، واعترافك بالعجزِ عن الشكر شُكرٌ.

(فصل) في اليقين، اليقين عند العارفين هو: قوّة الإيمان، كما قال بعضهم هو: المعرفة، ثم اليقين، ثم التصديق، ثم الإخلاص، ثم المشاهدة، ثم الطاعة، ونتيجتُهُ امتثال الأوامر، واجتباب المناهي، واتباع الكتاب والسنة.

(فصل) في الصبر، الصبر عند العارفين: التباعدُ عن المُخالفات، والسُكون عند تجرّع الغُصص، واظهار الغِنى مع طُول الفقر بساحات المعِيشة. وعند

---

(١) فعن أبي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول : (ما يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ من وَصَبٍ ولا نَصَبٍ ولا سَقَمٍ ولا حَزَنٍ حتى الْهَمِّ يُهَمُّهُ إلا كُفِّرَ بِهِ من سَيِّئَاتِهِ) رواه مسلم في صحيحه ك:البر والصلة والآداب، بَاب: ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ من مَرَضٍ أو حُزْنٍ أو نَحْوِ ذلك حتى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا ح ٢٥٧٣.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين٤/ ٨٤.

(٣) فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: (إذا نَظَرَ أحدكم إلى من فُضِّلَ عليه في الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إلى من هو أَسْفَلَ منه مِمَّنْ فُضِّلَ عليه) رواه مسلم في صحيحه ك: كِتَاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ ح ٢٩٦٣، وفي لفظ عنده: (انْظُرُوا إلى من أَسْفَلَ مِنْكُمْ ولا تَنْظُرُوا إلى من هو فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ، قال أبو مُعَاوِيَةَ: عَلَيْكُمْ) ح ٢٩٦٣.

العارفين: تجرُّع المرَارة من غير تعبُّس[1]، وأفضل الصبر: صبرُ العبد على ترك الذنوب، وامتثال الأمر من الطاعات، ومُتابعة الكتاب والسُّنة، وصبره أيضاً على مُقاساة ما يتصل به من حُكم الله تعالى، وقضائه وقدَرِهِ في جميع أموره، والصبر عند العارفين هو: السُكون مع البلاء ومع وجدان المحبّة[2]، والله أعلم.

(فصل) في المراقبة، المراقبة: علم العبد باطّلاع الحق سبحانه وتعالى عليه، واستدامتُه لهذا العلم مُراقبة لربِّه، ومَنْ له هذا العلم، فليحفظ افعاله وأقواله، وما يجري في خاطِره عملاً يُرضي الله، ولينظر على الدوام جريان خِطاب الله تعالى معه من الأمر والنهي، وقال العارفون: إذا جلستَ للناس فكُن واعظاً لقلبك ولنفسك، ولا يَغرنّك اجتماعهم عليك، فإنّهم يراقبون ظاهرك والله رقيب باطنك[3]، قال بعض العارفين: كان أمير المؤمنين له غلام يُقْبِلُ عليه أكثر من اقباله على غِلمانه، ولم يكن أكثرهم قِيْمة، ولا أحسنهم صورة، فقالوا له في ذلك، فأرادَ أن يبيّن لهم فعل الغُلام في الخدْمة على غيره، فبينما هو في يوم من الأيام ومعه جيش، وبالبُعد جبلٌ عليه ثلْج، فنظر الأمير إلى ذلك الثلج، وأطرق النظر إليه، فركِضَ الغلام فرسه، ولم يعلم القوم لماذا ركض، فلم يلبث إلا يَسيراً حتى جاء ومعه شيء من الثلج، فقال الأمير: ما أدراك أنّي أردتُ الثلج، فقال الغلام: لأنّك نظرتَ إليه، ونظر السلطان إلى شيء لا يكون من غير قصد، فقال الأمير: إنّما أخصّه بالرأي وإقبالي عليه ؛ لأن لكلٍّ أحدٍ شُغلاً، وشُغله مراعات لحظاتي ومراقبة أحوالي[4].

---

(١) قال العلامة علي القاري : الصبر على ثلاثة أنواع : صبر العوام وهو حبسُ النفس على ما يكره ، وصبر الخواص وهو تجرّع المرارة من غير تعبُّس، وصبر خواص الخواص وهو التلذّذ بالبلاء، وبه يصل إلى مرتبة الشكر وغاية الرضا بالقضاء . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٩/ ٤٧٨.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية ٨٤ .

(٣) انظر: المصدر السابق ٨٨.

(٤) ذكرها الرسالة القشيرية عن أبي علي الدقاق٨٨.

(فصل) في الرِّضا، اختلف العارفون في الرِّضا، فقال بعضهم: هو كسْبي، وقال الآخرون: ليس بكسْبي، بل شيء يحلُّ في القلب كالأحوال، والرضا: ترك الاعتراض على تقدير الله تعالى. قال موسى عليه السلام: إلهي دُلّني على عملٍ إذا عملتُه رضيتَ عنّي ، فقال: إنك لا تُطيق ذلك، فخرّ مُوسى ساجداً مُتضرِّعاً، فأوحى الله تعالى إليه يا ابن عمران إن رضائي في رضاك بقضائي[1]، وقال بعض المُريدين لشيخه: هل يعرف العبد أن الله تعالى راضٍ عنه؟ فقال: لا ،كيف يعلم ذلك، ورضاه مغيّب، فقال المُريد: أعرف ذلك، فقال: كيف تعرف، قال: إذا أوحيتُ[2] قلبي راض عن ربّي، علمتُ أنه راض عنّي، فقال الشيخ: أحسنتَ يا غلام[3].

(فصل) في العُبُوديّة، قال العارفون: العبودية أتمُّ من العبادات، فالأول العبادات ثم العبودية، فالعبادة للعوام من المؤمنين، والعبودية للخواص، والعُبُودَةُ لخاصِّ الخواص[4]، والعبادة لمن له علم اليقين، والعبودية لمن له عين اليقين، والعبودة لمن له حقّ اليقين، والعبادة، لأصحاب المجاهدات، والعبودية لأرباب المُكابدات، والعبودة صفات أهل المُشاهدات، فمن لم يدّخر عن الله نفسه فهو صاحب عباده، ومن لم يبخل عليه بقلبه، فهو صاحب عبودية، ومن لم يبخل عليه

---

(١) زيادة (بقضائي) من هامش المخطوطة، وهي موجودة في الرسالة القشيرية٨٩ وغيرها. وانظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب ٤٣١، وإحياء علوم الدين٤/ ٣٤٥.

(٢) كذا بالمخطوطة والمطبوعة الهندية، ولكن في الرسالة القشيرية : (إذا وجدت) ٨٩، ولعلّها الصواب؛ ليستقيم المراد . والله تعالى أعلم..

(٣) انظر: الرسالة القشيرية ٨٩.

(٤) العبادة: هي غاية التذلل لله تعالى، وهي للعامة، والعبودية: للخاصة الذين صححوا النسبة إلى الله بصدق القصد إليه في سلوك طريقه، والعبودة: لخاصة الخاصة الذين شهدوا نفوسهم قائمة به في عبودة . انظر: اصطلاحات الصوفية للكاشاني١٢٥ .١٢٦.

بروحــه وكلِّــه فهــو صــاحب عُبــودة[1]، والعبوديــة عنــد العــارفين أربعــة أشــياء: الوفــاء بالعهود، والحفظ للحُدود، والرضا بالموجود، والصبر عن المفقود[2].

(فصل) في الإرادة، قال العارفون: الإرادة ترك ما عليه العادة من اتباع الشهوات، وجمع المال، وحبّ الدنيا وغير ذلك، وحقيقة الإرادة: نُهوضُ القلب في طلب الحق إلى الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قالوا: إنها لَوعةُ ذهنٍ بكُلِّ روْعة، قال بعض المشايخ: مُذ علمتُ أن أحوال الفقراء جِدٌ كلّها لم أُمازح فقيراً؛ وذلك أن فقيراً قدِمَ على بعض المشايخ، فقال: أيها الشيخ أُريد عصيدة، فجرَى على لساني إرادة عصيدة، فتأخّرَ الفقير، ولم أشعر ما أراده، فأمرتُ باتخاذ عصيدة، وطلبتُ الفقير فلم أجده، فتعرّفتُ خبرَه، فقيل: إنّه انصرف من فوْرِه، وكان يقول: إرادةٌ وعصيدة، وهامَ على وجههِ حتى ماتَ . رحمه الله . [3]، وقال بعض المشايخ :كنتُ في البادية وحدي فضاق صدري، فقلت: يا إنس كلِّموني، يا جن كلِّموني، فهتفَ بِيَ هاتفٌ أي تُريد؟ فقلتُ: أُريدُ الله، فقال: حتى يريد الله، يعني: ما قال للجن والأنس: كلِّموني متى يكون مُريداً لله؟! من أراد الله لا يقول هذه المَقالة[4].

---

(١) قال ابن عجيبة : والأعمال عند أهل الفن على ثلاثة أقسام: عمل الشريعة، وعمل الطريقة، وعمل الحقيقة، أو تقول: عمل الاسلام وعمل الإيمان وعمل الإحسان، أو تقول: عمل العبادة وعمل العبودية وعمل العبودة أي الحرية أو تقول: عمل أهل البداية، وعمل أهل الوسط، وعمل أهل النهاية، فالشريعة أن تعبده والطريقة أن تقصده، والحقيقة أن تشهده أو تقول: الشريعة؛ لإصلاح الظواهر، والطريقة؛ لإصلاح الضمائر، والحقيقة؛ لإصلاح السرائر، وإصلاح الجوارح بثلاثة: أمور بالتوبة والتقوى والاستقامة، واصلاح القلوب بثلاثة أمور: بالإخلاص، والصدق، والطمأنينة، واصلاح السرائر بثلاثة أمور: بالمراقبة، والمشاهدة، والمعرفة أو تقول: إصلاح الظواهر باجتناب النواهي وامتثال الأوامر، واصلاح الضمائر بالتخلية من الرذائل، والتحلية بأنواع الفضائل، وإصلاح السرائر، وهي هنا الأرواح بذُلها وانكسارها؛ حتى تتهذب، وترتاض الأدب، والتواضع، وحسن الخلق. إيقاظ الهمم شرح متن الحكم٥.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية ٩٠، والتعريفات للجرجاني١٢٠.

(٣) انظر: المصدر السابق ٩٢.

(٤) انظر: المصدر السابق نفسه.

(فصل) في الاستقامة، الاستقامة: الثبات على الصراط المستقيم، والصراط هو: اتباع الكتاب والسنة، والتمسّك بالآداب الشرعية، وتقوى الله ظاهراً وباطناً من غير تزلزل، فمِنْ علامات أهل البداية : أن لا تُكدّر معاملتهم فتْرَةٌ، ومن علامات أهل التوسّط: أن لا تصحب منازلتهم ومواصلتهم وقْفةٌ، ومن علامات أهل النهاية: أن لا تتداخل معاملتهم حجْبَةٌ، كما قال بعض العارفين: كُن صاحبَ استقامة، لا طالب كرامة[1]؛ فإنَّ نفسك مُتحرّكة في طلب الكرامة، وربُّك يطالبك بالاستقامة[2].

(فصل) في الإخلاص، الإخلاص: إفراد الحق في الطاعة بالقصد وهو أن تريد بطاعتك التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من: تصنّع المخلوق أو اكتساب محْمَدة عند الناس أو محبة مدح من الخلق. قال العارفون: لا يعرف الرياء إلا مُخْلص، والصِّدق سيف الله ما وُضِع على شيءٍ إلا قطعه[3].

(فصل) في الحياء، الحياء على وجوه: حياء الجِناية كحياء آدم عليه السلام لمّا أكل من الشجرة، فذهب يميناً وشمالاً، فقال الرب سبحانه وتعالى: (افراراً منّي يا آدم، فقال: بل حياءً منك)[4]، وحياءُ الملائكة: حياء منك، وحياء الملائكة: حياء التقصير. يقولون: (ما

---

(١) انظر: إيقاظ الهمم شرح متن الحِكم لابن عجيبة ٢٠٩.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية ٩٤.

(٣) أخرجه السلمي بسنده من كلام ذي النون في كتابه طبقات الصوفية٣٢.

(٤) أخرجه أبو الشيخ بن حيان بسنده عن أبي بن كعب مرفوعاً في كتابه العظمة٥/ ١٥٥٦، وأبو بكر الخرائطي في مكارم الأخلاق٦٧، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٨٨، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٧/ ٤٠٤، وأخرجه أيضاً بسنده عن قتادة عن الحسن عن عتي بن ضمرة عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ:(أن آدم كان رجلاً طوالا ،كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس، فلما ركب الخطيئة، بدت له عورته، وكان لا يراها قبل ذلك ،فانطلق هارباً في الجنة، فتعلقت به شجرة، فقال: لها أرسليني، قالت: لستَ بمرسلتك، قال: وناداه ربه: يا آدم أمني تفر، قال: يا رب إني استحييتك) ٧/ ٤٠٥ ، قال الحافظ ابن كثير: عقبه: وهذا أصح . أي: من السند الأول . فإن الحسن لم يدرك أبياً. البداية والنهاية١/٧٩.

عبدنَاك حقَّ عبادتك)[1]، وحياء الإجلال كإسرافيل عليه السلام، حين تسرْبَل بجناحه حياء من الله تعالى، وحياء الكرم كالنبي ﷺ كان يستحيي من أمته أن يقول لهم: اخرجوا، قال الله تعـــــالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾[2]، [3]، وحياء الحِشمة كحياء علي رضي الله عنه، حين لم يسأل النبي ﷺ عن حكم المذي؛ لمكان فاطمة رضي الله عنها منه[4]، وحياء الاستحضار[5] كحياء موسى عليه السلام حين قال: إنه لتعرض لي الحاجة من الدنيا، فاستحيي أن أسالك، قال الله

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه٤/ ٦٢٩، عن سَلْمَان رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :(يُوْضَع الْمِيزَان يَوْم الْقِيَامَة فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَات وَالأَرض لَوَسِعَت ، فَتَقُولُ الْمَلاَئِكَة : يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِن هَذَا ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى : لِمَنْ شِئْت مِنْ خَلْقِي ، فَتَقُولُ الْمَلاَئِكَة سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِك ، وَيُوضَع الصِّرَاط مِثلَ حَدِّ الْمَوسى فَتَقُولُ الْمَلاَئِكَة : مَنْ تُجِيزُ عَلَى هَذَا ؟ فَيَقُولُ مَنْ شِئْت مِن خَلْقِي فتقول الملائكة: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتك) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وللحديث روايات كثيرة مرفوعة وموقوفة. انظر: مجمع الزوائد١٠/٣٥٨، وتفسير ابن كثير٤/ ٤٤٦.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٣.

(٣) عن أَنَس بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال :أنا أَعْلَمُ الناس بِهَذِهِ الْآيَةِ آيَةِ الْحِجَابِ لَمَّا أُهْدِيَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رضي الله عنها إلى رسول اللَّهِ ﷺ كانت معه في الْبَيْتِ صَنَعَ طَعَامًا وَدَعَا الْقَوْمَ فَقَعَدُوا يَتَحَدَّثُونَ فَجَعَلَ النبي ﷺ يَخْرُجُ ثُمَّ يَرْجِعُ وَهُمْ قُعُودٌ يَتَحَدَّثُونَ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ إلى قَوْلِهِ ﴿ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ﴾ فَضُرِبَ الْحِجَابُ وَقَامَ الْقَوْمُ) أخرجه البخاري في صحيحه ك:التفسير، بَاب قَوْلُهُ: ﴿ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾ ح ٤٥١٤.

(٤) عن عَلِيٍّ رضي الله عنه قال :كنتُ رَجُلًا مَذَّاءً فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ بن الْأَسْوَدِ، فَسَأَلَهُ فقال:(فيه الْوُضُوءُ) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الوضوء، بَاب من لم يَرَ الْوُضوءَ إلا من المخْرَجين من الْقُبُلِ والدُّبر ح١٧٦.

(٥) كذا في الأصل والنسخة الهندية، وفي الرسالة القشرية ص٩٩ : وحياء الاستحقار، وهو الأقرب .

تعالى:(سلْني حتى مِلحَ عجِينك، وعلَفَ دوابِّكَ)[1]، وحياء اعزاز[2] وهو: حياء الربِّ سبحانه وتعالى، يدفع إلى العبد كتابًا مختومًا بعدما عبَر الصِّراط فإذا فيه: فعلتَ ما فعلتَ فاستحييتُ أن أُظهِرَ عليك، فاذهبْ فقد غفرتُ لك[3].

(فصل) في الحريّة [4]، الحريّة: في اللغة الخُلوص، يقال: طير[5] حَرٌ أي: خالص، وحُرُّ الذات أي: خالِصُ الذَّات من الأشياء المذمُومة، وعند أهل الحقائق عبارة عن: صفاء

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم٢/ ٢٦٢.، وقد ثبت في السنة أن يسأل العبد ربه في حاجته الخاصة حتى رباط نعله فعن أنسﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (يسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شِسْعَ . أي: رباط . نعله إذا انقطع) رواه ابن حبان في صحيحه١٤٨/٣، ورواه أيضاً الترمذي في سننه وبلفظ: (لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ حَتَّى يَسْأَلَهُ الْمِلْحَ، وَحَتَّى يَسْأَلَهُ شِسْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ) وقال: وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ قَطَنٍ . أي الرواية السابقة ـ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ.ك: الدعوات ح٣٦٠٤. وانظر: مجمع الزوائد١٠/١٥٠.

(٢) كذا في الأصل، والنسخة الهندية، وفي الرسالة القشيرية ص٩٩ بتسميتِه :حياءُ الإنعام .

(٣) ورد في السنة حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يقول الله أنّي لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام أعذبهما بعد ذلك) أخرجه الخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق٢/ ٢٣١، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط٥/٢٧٠ بلفظ: (ان الله عز وجل ليستحيي من ذي الشيبة المسلم إذا كان مُسدداً لزوماً للسُنة أن يسأل الله فلا يُعطيه)، وعمرو بن أبي عاصم في السنة١٦/١، والبيهقي في الزهد الكبير ٢٤٣ وزاد: (قال: فرأيتُ رسول ﷺ يبكي عند ذلك، فقيل يا رسول الله: ما يبكيك، فقال: أبكي ممّن يَستحي الله منه ولا يستحي من الله). قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه صالح بن راشد وثّقه ابن حبان وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد١٠/ ١٤٩، وانظر: كشف الخفاء١/ ٢٨٤.

(٤) الحريّة في اصطلاح أهل الحقيقة :الخروج عن رِقِّ الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار. والحرية من معنى بسيط يعنى إتمام العبودية لله والإخلاص لله وحده ، وألا يكون العبد عبداً لدرهم أو دينار أو استرقه شيء سوى الله تعالى. وهي على مراتب: حرية العامة عن رِق الشهوات، وحرية الخاصة عن رِق المرادات؛ لفناء إرادتهم من إرادة الحق، وحرية خاصة الخاصة عن رِقِّ الرُسوم والآثار .انظر: اللمع للطوسي٤٥٠، والتعريفات للجرجاني٧٠.

(٥)كذا في الأصل، والنسخة الهندية، (طير)، وجاء في مختار الصحاح ص ٥٥ للرازي : طين حرٌ: لا رمل فيه، ورملة حرةٌ: لا طين فيها. والمراد: طين خالص. فلعلّه تصحيف . والله تعالى أعلم . .

الذات من حُبّ الدنيا، وحُبّ الجاه أو الشهرة والشهوة، وتعلّق الخاطر[1] إلى ما سِوى الله تعالى. واعلم أن معظم الحريّة في خدمة الفقراء. أوحى الله سبحانه إلى داود عليه السلام: (إذا رأيتَ لي طالبًا، فكُن له خادمًا)[2] وقال العارفون . رحمهم الله تعالى .: أبناء الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد، وأبناء الأخرة تخدمهم الأحرارُ الأبرار[3].

(فصل) في الذكر، الذكر على نوعين: ذكر اللسان ثم ذكر القلب. واعلم أنه أول الطريق وهو: الذهاب إلى الله تعالى، وإنما مبدؤها ذكر اللسان، ثم ذكر القلب تكلّفًا، ثم ذكر القلب طبعًا، ثم استيلاء المذكور على القلب طبعًا، وإنما الهُدى بعده أعني: الْهُدَى هُدَى اللَّهِ[4] ، فأوّل الأمر الذهاب إلى الله تعالى، ثم الذهاب في الله تعالى، وذلك هو الفناء[5] والاستغراق به، ولكن هذا الاستغراق أوّلاً يكون كالبرق الخاطف؛ قلّمَا ما يثبت ويدوم، فإذا دامَ ذلك صار عادةً راسخةً وهيئةً ثابتةً، فإذا صارَ كذلك عُرِجَ به إلى العالَم الأعلى، وطالع الوُجود الحقيقي

---

(١) الخاطر: وهو: ما يرِد على القلب من الخطاب أو الوارد الذي لا تعمّد للعبد فيه، وهو على أربعة أقسام: رباني وملكي ويسمى إلهاماً، ونفساني ويُسمى هاجساً، وشيطاني. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني١٧٧.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان٧/ ١٩٠، وأبو نعيم في حلية الأولياء١٠/ ١٩٤، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق٣٦/ ٣٣٥، وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة٢١٣.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية١٠٠.

(٤) اقتباس من قول الله تعالى : (وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) سورة آل عمران: ٧٣.

(٥) معنى الفناء : هو محو النفس وإثبات الأمر كلُّه لله سبحانه، فهذا ابن القيم يقول بعد كلام طويل: فغاية المحبة اتحاد مُراد المحب بمراد المحبوب وفناء إرادة المحب في مراد المحبوب، هذا الاتحاد والفناء هو: اتحاد خواص المحبين وفناؤهم، قد فنوْا بعبادة محبوبهم عن عبادة ما سواه وبحبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه، والاستعانة به، والطلب منه عن حبّ ما سواه، وخوفه ورجائه والتوكل عليه. مدارج السالكين١/١٦٧.

الأصفى، فانطبع فيه نقْش الملَكُوت، وأوّل ما يتمثّل له من ذلك العالم جواهر الملائكة، وأرواح الأنبياء، والأولياء في صورةٍ جميلةٍ، ويستفيد ويستمد منهم، وذلك في البداية، قال العارفون رضي الله عنهم: وقد يكثر المخلِص من ذكر الله تعالى، فإذا أصابته شجّةٌ، وسقط الدم كتب على الأرض: الله الله[1].

(فصل) في الفُتوّة، أصل الفتوة: أن يكون العبد في أمرِ غيره، قال العارفون: الفتوّة الصفح عن عثرات الإخوان [2]. وقالوا أيضًا: الفتوة أن لا ترى لنفسك فضلًا على غيرك، والمروءةُ شعبة من الفتوة [3].

(فصل) في الفراسة، أصل الفراسة قوة الإيمان، وفي الحديث: (اتقوا فِراسة المؤمِنِ فإنّه ينظرُ بنُورِ الله تعالى)[4]، قال العارفون: الفراسةُ سواطعُ أنوار الغيب في القلوب، وتمكينُ معرفة لمعانٍ حمَلتِ السرائر من غيب إلى غيب؛ حتى يشهدَ الأشياءَ من حيث أَشهده الحقُّ إيّاها؛ فيتكلّم على ضمير الخلق[5]. وقال بعض

---

(١) قال الإمام القشيري : سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت الجريري يقول: كان من بين أصحابنا رجل يكثر أن يقول: الله.. الله.. فوقع يوماً على رأسه جذع فانشج رأسه وسقط الدم، فاكتُتب على الأرض: الله.. الله. الرسالة القشيرية١٠٢.

(٢) روى الإمام السلمي بسنده عن الفضيل بن عياض يقول: الفتوة العفو عن عثرات الإخوان. آداب الصحبة ٤٦، وروى هذا ابن عساكر عن الفضيل في تاريخ مدينة دمشق ٤٨/ ٤٣٠.

(٣) ذكر الإمام القشيري أكثر من خمس وعشرين قولاً في معنى الفتوّة في الرسالة القشيرية١٠٣.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ك: تفسير القرآن، باب: سورة الحجر ح٣١٢٧، والطبراني في معجمه الكبير١٢١/٨. قال الترمذي: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه وقد روي عن بعض أهل العلم وتفسير هذه الآية ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ سورة الحجر: ٧٥.قال: للمتفرّسين. والحديث صححه السيوطي والهيثمي انظر: اللآلئ المصنوعة٢٧٨/٢، ومجمع الزوائد ٤٧٣/١٠

(٥) ذكر ذلك القشيري وابن عجيبة ونسباه للواسطي .انظر: الرسالة القشيرية ١٠٥، و معراج التشوف إلى حقائق التصوف١٦.

العارفين: (من غضَّ بَصَرهُ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَأَمْسَكَ نفسه عن الشهوات، وَعَمرَ بَاطِنُهُ بِدَوَامِ الْمُرَاقَبَةِ، وَظَاهِرَهُ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وتعوّد أكلَ الحلال لَمْ تُخْطِئْ فِرَاسَتُهُ)[1].

(فصل) في الخُلق الحسن، الخُلق الحسن: أن تحسِنَ إلى من يُؤذيك، وترَحمَ خلقَ اللهِ؛ حتى عدُّوك، وحتى الكلب، وأقلُّ حُسن الخُلق احتمال الأذى، وحُسن الخلق نصف الإيمان. (حكاية) زين العابدين حين سقطَ الشِواء على ابنٍ له من يدِ خادم فأعتقه[2]. (حكاية) أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث دعا الخادم مرارًا فلم يُجبه، فقام إليه، فقال: ما حملَك على تركِ جوابي؟ فقال: (أمِنْتُ عقوبتَك، فاعتقه)[3]، وعند أهل التصوّف: مَنْ زادَ في حُسن الخُلق زاد في التّصوّف. (حكاية) قطب العارفين إبراهيم بن أدهم: ما يسُرني في الدنيا إلا ما خالف هوائي أو من أساء إليَّ.

(فصل) في الجُود والسخاء والبَذْل، فعند العارفين السخاء هو: المرتبة الأولى ثم الجود بعده ثم الإيثار، فمَنْ أعطى البعضَ، وأبقى البعض، فهو صاحب سخا، ومن بذل الأكثر، وأبقى لنفسه الأقل، فهو صاحب جُود، ومَنْ أَعْطى جميع ماله، وصبر على الجوع، فهو صاحب إيثار[4].

(فصل) في الغَيْرة، لا غَيْرة إلا في فعل الطاعات، وإذا وُصِفَ الحقُّ سبحانه بالغَيرة[5] فمعناه: أنه لا يرضى بمُشاركة الغير معه، وفيما هو حقٌّ له من طاعة

---

(١) أخرجه أبو نُعيم من قول شَاهُ الْكَرْمَانِيُّ بْنُ شُجَاعٍ في حلية الأولياء١٠/ ٢٣٧.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين ٢/ ٢٧١.

(٣) انظر: المصدر السابق ، والمستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي ١/٢٦١.

(٤) انظر: إحياء علوم الدين٣/ ٢٣١.

(٥) أخرج مسلم في صحيحه حديث: (لَا أَحَدٌ أَغْيَرَ من اللَّهِ وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ) ك:التوبة ، بَاب غَيْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ ح ٢٧٦٠، قال الإمام النووي: قال العلماء الغَيرة : بفتح الغين، وأصلها المنع، والرجل غيور على أهله أي: يمنعهم من التعلّق بأجنبي بنظر أو حديث أو غيره. والغَيرة صفة كمال وأخبر ﷺ بأن سعداً غيور وأنه أغير منه، وأن الله أغير منه ﷺ وأنه من أجل ذلك حرم الفواحش، فهذا تفسير لمعنى غيرة الله تعالى أي: أنها منْعه سبحانه وتعالى الناس من =

عبده، وغَيرَة العبد للحقِّ هو: أن لا يجعل شيئًا من أحواله وأنفاسه لغير الحقِّ سبحانه وتعالى.

(فصل) في الوِلاية، وعلامة الوليِّ ثلاث أشياء: شُغْلُه بالله، وفِرارُه إلى الله، وهمُّه الله، واختلفوا في معرفة الولي نفسَه؟ فمنهم من قال: يجوز أن يعلم الولي نفسه بعين الاستصغار دائمًا، وإن ظهر عليه شيء من الكرامات خاف أن يكون مكرًا، وهو يستشعر دائمًا خوف وسقوط نفسه عمّا هو فيه، وأن تكون عاقبته بخلاف حاله[1].

(فصل) في الدُّعاء ، قال ﷺ: (الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ)[2]، والاتيان بها هو عبادة أولى من تركها، هو حقُّ الحقِّ سبحانه وتعالى، فإن لم يستجيب للعبد، ولم يصل العبد إلى حفظ نفسه؛ فقد قام بحقِّ ربِّه؛ لأن الدعاء إظهار فاقة العُبوديّة، وطائفة قالوا: بالسكوت والجمود تحت جريان الحُكم: أتمُّ، والرِضا بما سبقَ من اختيار الحقِّ سبحانه وتعالى أولى[3]، وقد قال رسول الله ﷺ يخبر عن الله سبحانه وتعالى: (مَنْ شغلَهُ ذِكْري عن مسألتي أعطيتُه أفضل ما أُعطي السائلين)[4].

=

الفواحش لكن الغيرة في حق الناس يقارنها تغيّر حال الانسان وانزعاجه، وهذا مستحيل في غيرة الله تعالى. انظر: شرح صحيح مسلم١٠/ ١٣٢.

(١) انظر: الرسالة القشيرية ١١٨.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ك:الدعوات عن رسول الله ﷺ ،باب: بَاب ما جاء في فَضْلِ الدُّعَاءِ ح٣٣٧١، وقال: هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ من هذا الْوَجْهِ لَا نَعْرِفُهُ إلا من حديث بن لَهِيعَةَ. والطبراني في معجمه الصغير٣/٢٩٣، وأخرجه الترمذي أيضاً في سننه بلفظ: (الدُّعَاءُ هوالْعِبَادَةُ) ح٣٣٧٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح. ٥/٤٥٦، وأبو داود ك: سجود القران، باب: الدعاء ح١٤٧٩ ، وابن ماجه ك: الدعاء ،باب: فضل الدعاء ح ٣٨٢٨ .

(٣) انظر في ذلك: التعرّف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ٦٨،وإيقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة ٤١.

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ١٠٩، والبيهقي في شعب الإيمان١/ ٤١٣، والقضاعي في مسند الشهاب ١/ ٣٤٠، قال الحافظ السيوطي بعد الحديث: قال ابن حبان ، موضوع : تفرّد به صفوان لا

=

(فصل) في الفقر، الفقر شعار الأولياء وحلية الأصفياء واختيار الحق سبحانه وتعالى لخواصه الأنبياء والأتقياء والفقراء صفوة من عباده ومواضع أسراره، قال العارفون: تكلّم الناس في الفقر والغِنى أيُّهما أفضل؟ فجملة من العارفين، قالوا: الأفضل أن يُعطى الرجل كفايته، ثم يُصَان فيه[1].

(فصل) في التصوّف، الصوفي: منسوبٌ إلى الصوف، أعني: لآبس الصوف صوفي، وللجماعة صُوفية، والمتصوّف صُوفي، وللجماعة مُتصوّفة هذا في اللغة، والمراد به الآن الجماعة المعروفة بالتعبّد، والمشتغلة بتصفية القلوب، سُمّوا بهذا الاسم، وحقيقة التصوّف أن يُميتَك الحقُّ عنك، ويحييك به. وعند العارفين التصوّف: الدخول في كل خُلق سَنِيٍّ، والخروجُ من كُلِّ خُلُقٍ دنيٍّ. وعلامة الصوفي الكبير: أن يكون كالأرض يُطرحُ عليها كلُّ قبيح، ولا يخرج منها إلا كلُّ مليح[2].

(فصل) في الآداب، حقيقة الأدَب: اجتماع خصال الخير؛ فالأديب الذي اجتمعت فيه خصال الخير، والعبد بطاعته يصل إلى الجنة، وبأدبه في طاعته يصل

=
يحتج به قلت . القائل السيوطي . قال الحافظ ابن حجر في أماليه: هذا حديث حسن أخرجه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد عن أبي نعيم ضرار ابن صرد عن صفوان به، وأخرجه ابن شاهين في الترغيب من رواية يحيى الحماني عن صفوان، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات فلم يُصب، واستند إلى ذكر ابن حبان لصفوان في الضعفاء ولم يستمر ابن حبان على ذلك بل ذكر صفوان في كتاب الثقات، وذكره البخاري في التاريخ، ولم يحك فيه جرحاً، وذكره ابن شاهين في الترغيب عن الثقات وكذا ابن خلفون، وقال: أرجو أن يكون صدوقاً وابن معين وثقه في رواية أبي سعيد بن الأعرابي عن عباس الدوري عنه. وشيخه ثقة، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه الترمذي وحسنه ومن حديث جابر أخرجه البيهقي في الشعب انتهى، وله شاهد آخر من حديث حذيفة، قال: أبو نعيم في الحلية(٧/ ٣١٣) حدثنا إبراهيم بن محمد بن حمزة حدثنا محمد بن مروان بن عبد الله حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن واقد حدثنا سفيان بن عُيينة عن منصور عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (قال الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته قبل أن يسألني) .ثم ذكر السيوطي شواهد أخرى. انظر: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة٢/٢٨٨.

(١) انظر: الرسالة القشيرية ١٢٥.

(٢) انظر: المصدر السابق ١٢٧.

إلى الله تعالى، قال بعض العارفين: أدب أهل الدنيا في الفصاحة والبلاغة؛ بحفظ العلوم، وأسماء الملوك، وأشعار العرب، وأدب أهل الآخرة في رياضة النفوس، وتأديب الجوارح، وحفظ ترك الشهوات، وأهل الخصوصية أدبهم في: طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحُسن الأدب في مواقف الطلب، وأوقات الحضور في مقامات القرب[1].

(فصل) في السفرِ، السفرُ على قسمين، سفر البدن وهو: الانتقال من بُقعة إلى بقعة، وسفر القلب وهو: الارتقاء من صفةٍ إلى صفةٍ، فترى ألفاً يسافرُ بنفسه ، وقليلاً من يُسافر بقلبه، قيل لبعض العارفين: أسافرتَ؟ فقال: سفر الأرض أم سفر السماء!! أما سفر الأرض فلا وسفر السماء بلى. جاء رجل إلى بعض العارفين، وقال: قطعتُ شُقّةً بعيدة؛ والمقصود لِقاك، فقال: يكفيك خطوةٌ واحدة لو سافرت عن نفسك إلى رِضى ربِّك[2]، وهذه إشارة إلى أن الإقامة بالطاعة أفضل، وفي بعض الأخبار: أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام:(اتخذ نعلين من حديد، وعصاً من حديد، ثم سِحْ في الأرض، واطلب الآثارَ والعبرَ؛ حتى تخرق النعلان)[3].

---

(١) انظر: اللمع للطوسي ١٩٥، وفيض القدير شرح الجامع الصغير٢/٩٢.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية ١٣٠.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه ١/ ١٤٩ وعزاه لداود عن عبد الرحمن القشيري بلفظ:(قال دَاوُدُ النبي ﷺ : قُلْ لِصَاحِبِ الْعِلْمِ يَتَّخِذْ عَصًا من حَدِيدٍ، وَنَعْلَيْنِ من حَدِيدٍ، وَيَطْلُبْ الْعِلْمَ حتى تَنْكَسِرَ الْعَصَا، وَتَنْخَرِقَ النَّعْلَانِ)، وأخرجه بهذا اللفظ أيضاً الدينوري بسنده في المجالسة وجواهر العلم٢/ ١٨٩، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢٢٨، عند قوله تعالى :﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ من سورة الحج : ٤٦ ، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في كتابه التفكر والاعتبار، وكذا عزاه الحافظ السيوطي له في الدر المأثور بالتفسير بالمأثور٦/٦١، والقشيري في الرسالة القشيرية ١٣١، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله١/ ٩٥.

(فصل) في الصُحبة، الصُحبة على ثلاثة أقسام: صُحبة من فوقِك، وهي: في الحقيقة سلامة[1]، وصحبة مَنْ هو دُونك أن تقضي على المتبوع بالشفقة، والرحمة، وعلى التابع بالوفاء والحُرْمة، وصُحبة الأكفاء وهي: مبنيةٌ على الإيثار والشفقة، والفُتوّة، ومن صحِب شيخاً فوقه في المرتبة؛ فأَدبُه تركُ الاعتراض، وحمْل ما يبدوا منه على وجه جميل. فأمّا إذا صحبتَ من هو دُونك، فالجناية منك في حقِّ صحبته إن لم تنهه على ما فيه من نقصان في حاله، قال العارفون: صحبة الأشرار تُورِثُ سُوء الظن بالأخيار[2].

(فصل) في أحوالهم عند الموتِ، وأحوالهم عند النزع مختلفة، فبعضهم الغالب عليه الهيبة، وبعضهم الغالب عليه الرجاء، ومنهم من كُشِفَ له في تلك الحالة ما أوجب له السُكون، وجميل الثّقة. وقيل: لمّا حضرتْ الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما الوفاة بكى، فقيل له: ما يُبْكيك؟ قال: أقدم على سيِّدٍ لم أره[3]. ولمّا احتضر بلال رضي الله عنه قالت امرأته: واحزناه، فقال: بل واطرباه: غدًا نلقى الأحبّة مُحمدًا وحِزْبه[4]. وفتحَ عبد الله بن المبارك . رحمه الله تعالى . عينيه

---

(١) كذا في المخطوطة، وفي الرسالة القشيرية ١٣٣: (الحقيقة خدمة) .

(٢) انظر: أدب الدين والدنيا للماوردي٢٠٩، والرسالة القشيرية ١٣٤.

(٣) وأخرج ابن عساكر بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه قال لما أن حضر الحسن بن علي الموت بكى بكاء شديداً، فقال له الحسين: ما يبكيك يا اخي وإنما تَقْدمُ على رسول الله ﷺ وعلى علي وفاطمة وخديجة، وهم ولدوك وقد أجرى الله لك على لسان نبيه ﷺ :أنك سيد شباب أهل الجنة، وقاسمت الله مالك ثلاث مرات، ومشيت إلى بيت الله على قدميك خمس عشرة مرّة حاجاً، وإنما أراد أن يطيّب نفسه، قال: فو الله ما زاده إلا بكاء وانتحاباً وقال:(يا أخي إني أقدم على أمرٍ عظيم مهُول لم أقدم على مِثله قط) تاريخ مدينة دمشق١٣/ ٢٨٧، وأخرج مثله ابن أبي الدنيا في المحتضرين ١٧٤.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ٢٠٧ ، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق١٠/ ٤٧٥، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء١/ ٣٥٩.

عند الوفاة، وضحك، وقال: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [1]، [2].

(فصل) في المعرفة، المعرفة عند جمهور الصوفية: مَنْ عرَف الحقَّ سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، ثم صَدَق الله في مُعاملاته، ثم تنقّى من أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طالَ بالباب وقُوفه، ودام بالقلب اعتكافه، فحُظي من الله بجميع إقباله، وصَدَق اللهَ في جميع أحواله، وانقطع عنه هواجس نفسه؛ فلا يصغي بقلبه إلى خاطرٍ يدعوه إلى غيره. فإذا صارَ عن الخلق أجنبيّاً وعن آفات نفسه بريئاً، وعن المُسَاكنَات والملاحظات نقيّاً، ودامَ في السِّر مع الله تعالى مُناجاته، وحُقّ في كلّ لحظة إليه رجوعه؛ فصار مُحدَّثاً [3] من قِبَل الحق سبحانه بتعريف مُناجاته وأسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره، سُمِّي عند ذلك عارفاً، وتُسمّى حالته: معرفة، وفي الجملة: أجنبيّته مَنْ نفسه معرفة بحقِّ ربِّه[4]. وقال رجل للجنيد: إن قوماً يقولون بترك الحركات من باب البِر والتقوى ، فقال الجنيد : إن قوماً تكلّموا بِإِسْقَاطِ الْأَعْمَالِ ، وهو عندي عظيم، والذي يسرقُ ويزني أحسنُ حالاً من الذي هذا حاله؛ فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله، وإلى الله رجعوا، وَلَوْ بَقِيتُ أَلْفَ عَامٍ لَمْ

---

(١) سورة الصافات: ٦١.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين٤/ ٤٨١، والرسالة القشيرية ١٣٧.

(٣) عن أبي هُرَيْرَة ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ. (لقد كان فِيمَا قَبْلَكُمْ من الْأُمَمِ ناس مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُ في أُمَّتِي أَحَدٌ فإنه عُمَرُ) زَادَ زَكَرِيَّاءُ بن أبي زَائِدَةَ عن سَعْدٍ عن أبي سَلَمَةَ عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال النبي ﷺ :(لقد كان فِيمَنْ كان قَبْلَكُمْ من بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ من غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ فَإِنْ يَكُنْ من أُمَّتِي منهم أَحَدٌ فَعُمَرُ) أخرجه البخاري في صحيحه ك: فضائل الصحابة ،بَاب مَنَاقِبِ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ ح٣٤٨٦، ومسلم في صحيحه ك: فضائل الصحابة ،بَاب مَنَاقِبِ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ،ح ٢٣٩٨. وزاد: قال ابن وَهْبٍ تَفْسِيرُ مُحَدَّثُونَ: مُلْهَمُونَ.

(٤) انظر: التعرّف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ٨٩، وجاء في الرسالة القشيرية ١٤١ : وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصلُ معرفته بربه.

أُنْقِصْ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ ذَرَّةً [1]. وقال ذو النون رحمه الله : علامة العارف ثلاثة: لا يطفئ نور معرفتِه نور ورَعه، ولا يعتقد باطنًا من الشريعة من العلم ما ينقض[2] عليه ظاهرًا من الحكمة، يعني: لا شيئاً يُخالف الشريعة، ولا تحمله كثرةُ نِعم الله عليه بهتك أستار محارم الله تعالى[3].

(فصل) في المحَبّة، المحَبّة :قد تكون من الله للعبد، وقد تكون من العبد لله، فأما محبةُ الله تعالى للعبد؛ فهي إرادته لإنعامٍ مخصوص، كما أن رحمتَه إرادةُ الإنعام. فالرحمة أخصُّ من الإرادة، والمحبّة أخص من الرحمة، فإرادته بأن يخُصّه بالقربة والأحوال العليّة، تسُمى محبة. وإرادته سبحانه وتعالى صفة واحدة، فبحسب تفاوت مُتعلقاتها تختلف أسماؤها، فإذا تعلّقت بالعقوبة تُسمّى غضباً، وإذا تعلّقت بعموم الرحمة[4]، تُسمّى رحمة، وإذا تعلّقت بخصوصها تُسمّى محبة. وأما محبة العبد لله :فحالةٌ يجدها من قلبه تلْطُف عن العبارة، وقد تحمِله تلك الحالة على التعظيم وإيثار رضاه، وقلة الصبر عنه، والاهتياج إليه، وعدم الفرار منه، ووجود الاستئناس بدوام ذكره بقلبه، والشوق أزيد من المحبة، والاشتياق أزيد من الشوق. والشوق: اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، وهو يسْكن باللقاء والرؤية، والاشتياق لا يزول باللقاء[5].

---

(١) أخرجه بسنده أبو نعيم في حلية الأولياء١٠/ ٢٧٨، وانظر: الرسالة القشيرية ١٤٣

(٢) وفي النسخة الهندية : (ينقص) بالصاد .

(٣) انظر: الرسالة القشيرية ١٤٣، نقله عن ذي النون، ونقل أيضاً نحوه عن السري السِّقطي أنه قال: التصوُّف: اسم لثلاث معان: وهو الذي لا يطفئ نورُ معرفته نورَ ورعه. ولا يتكلَّم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة. ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله تعالى . ص٩.

(٤) كذا في الأصل، والنسخة الهندية، وفي الرسالة القشيرية ص١٤٤: (بعموم النعم)، وهو الأقرب . والله أعلم . .

(٥) انظر: الرسالة القشيرية ١٤٤.

(فصل) في حفظِ قلُوب المشايخ، وترك الخلاف عليهم لازمٌ على المريد؛ بحفظ القلب؛ قلب شيخه، وترك الاعتراض عليه، وحمل أفعاله وأقواله على وجه جميل، فمن صحِبَ شيخًا، ثم اعترض عليه بقلبه، فقد نقض عهد الصحبة، ووجب عليه التوبة، قال العارفون: مَنْ قال لأُستاذه وشيخه: لِمَ ؟ لم يُفلح[1].

(فصل) في كرامات الأولياء، ظهور كرامات الأولياء جائز، والدليل على جوازه أنه أمرٌ موهومٌ، فحدوثه[2] في العقل لا يَردّ حصوله إلى رفع أصل من الأصول، فواجب وصفه سبحانه وتعالى بالقدرة على الايجاد، وواجب كونه مقدوراً لله تعالى، فلا شيءَ يمنع من جوازه[3]. وظهور الكرامات على أُمّته صدْقٌ، ومن ظهر في أحواله فلا بدَّ أن تكون الكرامات فعلًا ناقضاً للعادة، في أيّام التكليف، ظاهراً على

---

(1) ذكر أهل العلم كابن حجر أن المراد بقول ذلك لشيخه هو شيخه في السلوك والتربية؛ لأن شرطه أن يكون عالماً بأحكام الشريعة، وأفعاله موافقة لأحكامه لا مطلقاً، وليس يفهم من ذلك اعتقاد العصمة في شيخة، بل ذلك من الأدب وحسن الظن، وحمل ذلك الشيخ على محْملٍ حسن كما أمرت بذلك الشريعة في عموم المسلمين فضلاً عن الشيوخ الأجلاء الملتزمين بالشريعة الغراء، وأما إن كان شيخه في العلم فإن أخطأ أو سها فلا مانع من سؤاله أو بيان ما وقع فيه بأدب وقصد الاستفادة والنصيحة، وليس فيه ما يمنع أو يُذم، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: (رد المقالات الضعيفة، وتبيين الحق في خلافها بالأدلة الشرعية، ليس هو ممّا يكرهه أولئك العلماء، بل ممّا يحبونه، ويمدحون فاعله، ويثنون عليه، فلا يكون داخلاً في باب الغيبة بالكلية، فلو فرض أن أحدًا يكره إظهار خطئه المخالف للحق، فلا عبرة بكراهته لذلك، فإن كراهة إظهار الحق إذا كان مخالفًا لقول الرجل ليس من الخصال المحمودة، بل الواجب على المسلم أن يحب ظهور الحق ومعرفة المسلمين له؛ سواء كان ذلك في موافقته أو مخالفته، وهذا من النصيحة لله، ولكتابه، ورسوله، ودينه، وأئمة المسلمين وعامتهم، وذلك هو الدين كما أخبر به النبي ﷺ ، وأما بيان خطإ من أخطأ من العلماء قبله – إذا تأدب في الخطاب، وأحسن الرد والجواب – فلا حرج عليه، ولا لوم يتوجَّه إليه) .انظر: الفرق بين النصيحة والتعيير ٢٢ – ٢٣، و الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي٥٦.

(٢) في الرسالة القشيرية ١٥٨: حدوثه ، دون الفاء .

(٣) ألّف العلامة المحدِّث عبد الله بن الصديق الغماري الحسني كتاباً قيّماً ماتعاً في إثبات الكرامات أسماها: الحجج البينات في إثبات الكرامات، وهو مطبوع.

موصوف بالولاية، ولا تكون الكرامات لجميع الأولياء[1]، وقد يموت من العطش أولياء أفضل من أولياء الكرامات، ومن كان في أوصاف الأولياء ولم تظهر منه كرامة لم يَقدح في ولايته. فالأولياء مختلفون في ظهورها، وأكثرهم يخفونها، وبعضهم يُظهرونها؛ ليظهر صدقهم وتُصان طريقهم؛ ليقتدوا بهم ويتوبوا من المعاصي ببركاتهم.

(فصل) في وصية العارفين للمُريدين، ينبغي للمُريد[2] أن يحصِّل شيئاً من العلوم من كتب الفقه مثل: التنبيه لأبي إسحاق، ومنهاج النووي، ومن كتب السلوك من كتب الغزالي كمنهاج العابدين، والأربعين الأصل، وإحياء علوم الدين، ونشر المحاسن أو الإرشاد لليافعي؛ ليُصحح به اعتقاده وعبادته، ويُقلِّد أحداً من الفقهاء في الفقه من أصحاب الشافعي من الأئمة المذكورين، وليأخذ من أقاويل الأئمة مثل: الغزالي واليافعي ما هو أقرب إلى التقوى ظاهرًا وباطنًا، وليترك الرُخص إلا عند الضرورة، وليُقلِدْ شيخاً في سلوك طريق الحقِّ[3]، فإنَّ من لا شيخ له شيُخه الشيطان[4]، وليعرض على شيخه ما يجري في خاطره، وما يرى في نومه[1]؛ ليميّز

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية ١٥٨

(٢) المريد هو: من انقطع إلى الله عن النظر والاستبصار وتجرَّد عن إرادته إذْ علم أنه لا يقع في الوجود إلّا ما يريده الله لا ما يريده غيره، فيمحو إرادته في إرادته، فلا يريد إلا ما يريده الحق. انظر: التعريفات للجرجاني ١٧٢.

(٣) في النسخة الهندية : الجنة.

(٤) كان السابقون من السلف شيوخاً لأبنائهم يرشدونهم ويوجهونهم إلى المسلك المستقيم، ويُزيلون عنهم ما يلتبس عليهم من المشكلات والمعضلات، فلمّا تباعد الناس عن منهج السلف الصالح، وانهمكوا وافتتنوا بزهرة الدنيا، قام العلماء الربانيون بتوجيه الأجيال ببيان طريق الضلال، وإرشادهم إلى الكمال، فأرشدوا الناس بأحوالهم قبل مقالهم، ووعظوهم بأخلاقهم قبل كلِماتِهم، فكانوا حقيقة هُداةً مهتدين، فجزاهم الله خيراً وحباهم الله جنة وحريراً. ثم في أواخر القرن الثامن الهجري وما بعده اختلف العلماء في مسألة اتخاذ الشيخ في السلوك والتربية، وألّف فيها عدد من العلماء رسائل قيّمة كأبي العباس القباب ت٧٧٨هـ، وابن عبّاد النفزي ت٧٩٢هـ، وابن خلدون ت٨٠٨هـ في كتابه المفيد شفاء =

لـه الخـاطر الرحمـاني مـن الخـاطر الشـيطاني، ويشـرحُ لـه المقامـات وعلومهـا، والعمـل

=

السائل في تهذيب المسائل، والحسن بن مسعود اليوسي ت١١٠٢هـ، وهي رسائل ما تعة نافعة بأسلوب علمي هادئ، وتتلخص آرائهم في هذه المسألة إلى ثلاثة آراء (الأول) اشترط على السالك إلى الله تعالى أن يلتزم مرشداً مربيّاً يتبعه ويسترشد بتوجهاته. (الثاني) الاكتفاء في السلوك بكتاب الله تعالى والاقتداء بالنبي ﷺ وأهل بيته وصحابته الكرام والعلماء الصادقين وقراءة كتب القوم، وذلك يكفيه عن شيخٍ مُربٍّ. (الثالث) التفصيل، فإن كان السالك مُتيقظاً مُدْركاً ذا عقلٍ رجّاحٍ، فهذا لا يلزمه شيخ تربية، وإن كان ذوا فهْمٍ بطيءٍ ونفسٍ مُسْتعصية، فهذا يحتاج لشيخ يرشده ويُبصّره، ولعلَّ هذا الرأي الثالث أعدل الآراء ولكن يجب على الجميع سواء مَنْ كان عقله ثاقباً أو مُسْتعصياً أن يسأل العلماء الربانيين إن أشكل عليه أمرٌ من أمور السير إلى الله تعالى أو من خواطر القلوب وغيرها، فكما يجب على عامة الناس أن يسألوا أهل العلم في قضايا الإسلام والإيمان ففي قضايا الإحسان أولى، فإن الإحسان صمام الأمان لهما، فما ضلَّ مَن أضلَّ إلّا باستغنائهم عن المُجالسة والمسائلة! فقد أخذ بعض الناس علوم الدين الثلاثة السابقة من الكتب مُعتمداً على ذكائه ومُستغنياً عن سؤال الشيوخ فسقطوا أبعد من الثُريا، و صاروا في العالَم ضُحْكةً، ويُقال أن ابن حزم الظاهري مع عظيم حفظه، إنما أتى عليه من هذا الباب، ولهذا قال الإمام الشاطبي ـ رحمه الله ـ في الموافقات: (وقلّما وجدت فرقةً زائغةً، ولا أحدَ مخالفٌ للسنة، إلا وهو مفارق لهذا الوصف ـ أي: الملازمة والانقياد لأخلاق العلماء الربانيين ـ وبهذا وقع التشنيع على ابن حزم الظاهري، وأنه لم يلازم الأخذ عن الشيوخ، ولا تأدب بآدابهم،ـ مع أن له شيوخ رواية ـ وبضد ذلك كان العلماء الراسخون كالأئمة الأربعة وأشباههم)، ولذلك يقول الإمام أبوحيان المفسِّر:

يـظُن الغُمرُ أنَّ الكتب تهْدي * أخَـــا فَهـــمٍ لإدراكِ العُـــلـــومِ

وما يَدري الجَهولُ بأنَّ فيها * غوامِضَ حَيَّـرتْ عَقل الفَهيمِ

إذا رُمْتَ العُلومَ بغيرِ شَـــيخٍ * ضَللتَ عن الصراط المستقيمِ

وتَلتبسُ الأمـورُ عليـــكَ حتَّـى * تَصيرَ أضلَّ من تَـوما الحكيمِ .

انظر في هذه المسألة بتوسّعٍ: شفاء السائل في تهذيب المسائل لابن خلدون بتحقيق د.محمد مطيع الحافظ ومعه ثلاث رسائل للقباب ولابن عباد ولليوسي ١٧٦، ١٩٩، وهامش رسالة المسترشدين للمحاسبي تحقيق العلامة عبد الفتاح أبو غدة ٣٩ ـ ٤٠، والموافقات للشاطبي١/٦٤.

(١) هذا منهج نبوي فعن سَمُرَةَ بن جُنْدَبٍ رضي الله عنه قال :(كان النبي ﷺ إذا صلّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فقال: من رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا، قال: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا فيقول ما شَاءَ الله ... الحديث) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الجنائز، بَاب: ما قِيلَ في أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ ح ١٣٢٠.

بما فيها ، وأوّلها مقام التوبة.

(فصل) في اللباس، اعلم أن اجتهادهم في اللباس مختلف، فمنهم مَنْ يلبس ما يجد من غير تكلّف، ويأمر المريدين أيضًا يلبسون ما يجدونه، ومنهم مَنْ يكره أكثر من ثوب واحد، ومنهم مَنْ يجوّز ثوبين؛ للاحتياط للطهارة، يعني: إذا تنجّس ثوب لبس الآخر، ولهم في اللِّباس كلام طويل، معرفته عند أهل البصائر والمُكاشَفَات، ومعرفة الأحوال والأسرار والمقامات، والعلوم والمعاملات.

(فصل) في السَّماع [1]، اعلم أن سماع الأشعار بالأَلحان الطيِّبة النّغم، والمستلذة إذا لم يسمع محظوراً، ولم يسمع على مذمومٍ في الشرع، ولم ينجرّ في زمام هواه : مُباح في الجملة، ولا خلاف أن الأشعار أُنشدت بين يدي النبي ﷺ وأنه سمعها، ولم ينكر عليهم في إنشادها[2]، فإذا جاز سماعها بغير الألحان الطيّبة فلا يتغيّر الحكم بأن يسمع الألحان الطيّبة، هذا ظاهر من الأمر ثم ما يُوجب على المستمع قوة الرغبة على الطاعات، ويُذكّر ما أعدَّ الله تعالى لعباده المتقين من الدرجات، ويحمله على[على التحرّر من الزلات، ويؤدي إلى قلبه] [3] في الحال صفاء الواردات، مُستحب في الدِّين، ومختار في الشرع. هذا كلام

---

(١) السماع : له مراتب، فالسماع في البدايات: هو سماع الوعد والوعيد من واعظ زكي، بصوت رحيم حتى يقع موقع القبول، وفي الأخلاق : إجابة داعي الحق إلى التخلّق بأخلاقه، والرضا بأحكامه، وفي الأصول: سماع القلب خطاب الرب بقوله تعالى :(اذكروني أذكركم) . انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ١٧٩.

(٢) ثبت إنشاد الشعر في المسجد وبحضرة النبي ﷺ ولم ينكر ذلك فعن أبي هُرَيْرَةَ أن عُمَرَ مَرَّ بِحَسَّانَ ﷺ وهو يُنْشِدُ الشِّعْرَ في الْمَسْجِدِ فَلَحَظَ إليه، فقال: قد كنتُ انشُد وَفِيهِ من هو خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلى أبي هُرَيْرَةَ، فقال:(أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: (أَجِبْ عَنِّي اللهم أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)، قال: اللهم نعم) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الصلاة، بَاب: الشِّعْرِ في الْمَسْجِدِ ح ٤٤٢،ومسلم في صحيحه واللفظ له ك: فضائل الصحابة، بَاب: فَضَائِلِ حَسَّانَ بن ثَابِتٍ ﷺح ٢٤٨٥.

(٣) في الأصل غير واضح، وما بين المعكوفين من الرسالة القشيرية ١٥١ ، وفي النسخة الهندية فراغ ، وكتب على هامشها هذا: [من هامش الأصل].

صاحب عوارف المعارف، لشجاع الدين عمر السّهْرَوَرْدِي [1]، وفيه تصانيف للعلماء كثيرة مثل الشيخ أبو حامد الغزالي والإمام أحمد الغزالي[2]، و الأُرفْوي [3]، وفيه كلام لأبي زرعة، والسُبكي وغيرهم، وفي بعض شيء منه خلاف، وقد ذكر النووي ما كان فيه خلاف للعلماء: لا يحل الإنكار فيه[4]، قال الشيخ الإمام السّهْرَوَرْدِي صاحب العوارف: ولا بأس بسماع الآلات المُطربة مثل: ضرب الدُّف مع الصَّنْج[5] واليَرَاع[1] وضرب أحد الكفين على الآخر، وغير ذلك ممّا ليس فيه

---

(١) هو: عمر بن محمد بن عبد الله السّهْرَوَرْدِي، أبو عبد الله وقيل: أبونصر، الإمام الصوفي الجامع بين علمي الباطن والظاهر ولد سنة(٥٣٩هـ) بسهْرَورد، صحب عمه أبا النجيب عبد القاهر، وأخذ عنه التصوف والوعظ، وكان فقيهاً فاضلاً إماماً ورعاً، شيخ وقته في علم الحقيقة، من أهم مصنفاته: عوارف المعارف، توفي سنة (٦٣٢هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٣٣٨/٨، وسير أعلام النبلاء ٣٧٤/٢٢، ومرآة الجنان لليافعي ١٠٧٩/٤.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي الملقب مجد الدين أبو الفتوح، أخو الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشافعي ،كان واعظاً مليح الوعظ، وكان من الفقهاء غير أنه مال إلى الوعظ فغلب عليه، ودرّس بالمدرسة النظامية نيابة عن أخيه أبي حامد لما ترك التدريس زهادة فيه، واختصر كتاب أخيه أبي حامد المسمى بإحياء علوم الدين في مجلد واحد، وسمّاه لباب الإحياء، وله تصنيف آخر سماه الذخيرة في علم البصيرة، و التجريد في كلمة التوحيد، والالماع في الرد على من يحرم السماع، وغيرها. وتوفي بقزوين في سنة عشرين وخمسمائة. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان٩٨/١، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي٣/ ٢٢٤.

(٣) كذا في الأصل [الأُرفوي] بالراء ، وفي النسخة الهندية [الأرقوي]، ولعله خطأ من الناسخ، والمعروف الأُدفْوي وهو: جعفر بن تغلب بن جعفر كمال الدين أبو الفضل الشافعي المؤرخ، والأُدْفوي بضم الهمزة وسكون الدال المهملة بلد بصعيد مصر، له من التصانيف: البدر السافر وتحفة المسافر في الوفيات، والطالع السعيد في تاريخ الصعيد، ، والإمتاع في أحكام السماع، توفي سنة ٧٤٩ هـ، انظر: الدرر الكامنة ٢/ ٥٣٥، والأعلام للزركلي٢/ ١٢٣، وكشف الظنون١/ ١٦٧.

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي٢/ ٢٣.

(٥) الصَّنْج: شيء يتخذ من صفر يضرب أحدهما على الآخر وآلة بأوتار يضرب بها. انظر: القاموس المحيط ٢٥١.

تشْبيه بشربة الخمر، وقال أيضاً: لا يجوز في الشرع سماعُ أصوات آلةِ الشراب؛ كالناقد، والضغاية[٢]، والرباب[٣]، والطنبور[٤]،والمزمار[١]، وطبل المخنثين[٢]،

=

(١) اليَرَاع: هو بفتح الياء وتخفيف الراء وبالعين المهملة، وهو جمع يراعة أو اسم جنس واحدته يراعة وهي: الزمارة التي تسميها الناس الشبابة، وعند أهل اللغة اليراع القصب. والشَّبَّابة والزَّمارَة هي: اليَراع، وهو مختلف فيه بين الشافعية وغيرهم فالنووي وابن حجر الهيتمي والرملي على تحريمه، والرافعي والغزالي والسبكي على حِلِّه ومال إليه البلقيني. انظر: تهذيب الأسماء للنووي٣/ ٣٧٢، ومختار الصحاح مادة يرع ٣١٠، وكفّ الرَّعاع عن محرمات اللهو والسَّماع لابن حجر ١٠٣، ومغني المحتاج للخطيب٤/٤٢٩.

(٢) لم أعثر على معنى : الناقد، والضغاية، ولعلّهما صُحِّفا من الناي، وَالْكُوبَةَ . الطبل . أو غيرهما . والله تعالى أعلم.

(٣) الرَباب: واحدته رَبابة آلة وتريَّة شعبيَّة ذات وترٍ واحد.انظر: المعجم الوسيط١/ ٣٢١.

(٤) الطُّنْبُور: بضمِّ الطاء معروفٌ وفي كتب اللغة: الطُّنْبُور العُود، والمشهور فِي العُرف وعند أهل الصِّناعة أنَّه غيره، وكأنَّ كلَّ واحدٍ من العُود والطُّنْبُور وغيرهما اسمُ جنسٍ تحته أنواعٌ، وقد يشمَل اسم العُود سائر الأوتار، انظُر قول العمراني وخلائق من الأصحاب: الأصوات الملهية ثلاثة أضرب: ضَرْب محرم وهي التي تطرب من غير غناء؛ كالعيدان، والطنابير، والطبول والمَزَامِير، والمَعَازِف، والنايات، والإكبار، والرباب وما أشبهها. انظر :كفّ الرَّعاع عن محرمات اللهو والسَّماع لابن حجر١٣٨، وللإمام الماوردي كلامٌ قيّم في تلخيصه آلات اللهو قال . رحمه الله . : وأما الملاهي فعلى ثلاثة أضرب: حرام ، ومكروه ، وحلال . فأما الحرام : فالعود والطنبور والمعزفة والطبل والمزمار وما ألهي بصوت مطرب إذا انفرد. وروى عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : (ان اللَّهَ حَرَّمَ على أمتي الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالْمِزْرَ وَالْكُوبَةَ وَالْقِنِّينَ)[أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ١٦٥، وله روايات يعضُد بعضها بعضًا. انظر: البدر المنير٩/ ٦٤٩] . فالميسر القمار ، والمزر نبيذ الذرة ، والكوبة الطبل. والقنين البريط. ولأنها تلهي عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة كالشراب، وكان بعض أصحابنا يخص العود من بينها ولا يحرمه، لأنه موضوع على حركات نفسانية تنفي الهمَّ ، وتُقوي الهمّة وتزيد في النشاط. وهذا لا وجه له، لأنه أكثر الملاهي طرباً ، وأشغلها عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة . وإن تميّز به الأماثل عن الأراذل. وأما المكروه : فما زاد به الغناء طربا ، ولم يكن بانفراده مطربا . كالفسح ، والقضيب. فيكره مع الغناء لزيادة إطرابه. ولا يكره إذا انفرد لعدم إطرابه. وأما المباح : فما خرج عن آلة الإطراب. إما إلى إنذار كالبوق ، وطبل الحرب. أولمجمعٍ وإعلان كالدف في النكاح ، كما قال ﷺ:(أعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالدف)[أخرجه الترمذي في سننه ح ١٠٨٩، وحسنه السخاوي في المقاصد ١٢٥]،

=

وقال الأمام حجة الإسلام الجامع بين الشريعة والطريقة والحقيقة أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين في آخر كتاب السماع والوجد، وقد خرج من هذا التفصيل السابق أن السماع قد يكون حرامًا محضًا، وقد يكون مباحًا، وقد يكون مستحبًا، وقد يكون مكروهًا، أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشبّان، ومن غلب عليه شهوة الدنيا، فلا يحرّك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة. وأما المكروه فهو لمن لا ينزّله على صورة المخلوقين، ولكن يتخذه عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو، وأما المباح فهو لمن لاحظَّ له منه إلا التلذّذ بالصوت الحسن. وأما المستحب فهو لمن غلَبت عليه محبة الله تعالى، ولم يحرّك السماع منه إلا الصفات المحمودة[٣]. تمّ آخر كتاب الوجد والسماع من كتاب أعجوبة الزمان تسميته الأسنوي، أعني: كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي رحمه الله، ونفع به وسائر الصالحين.

(فصل) في ذكر أبيات من الشعر نظم الشيخ سعيد بن عمر [٤] المكنّى

=

واختلف أصحابنا هل ضرب الدف على النكاح عام في كل البلدان والأزمان ؟ فعمَّ بعضهم لإطلاقه وخصَّ بعضهم في البلدان التي لا يتناكر أهلها في المناكح .كالقرى والبوادي، ويكره في غيرها ، في مثل زماننا؛ لأنه قد عدل به إلى السخف والسفاهة. فأما الشبابة : فهي في الأمصار مكروهة؛ لأنها مستعملة فيها للسخف والسفاهة، وهي في الأسفار والرعاة مباحة؛ لأنها تحثّ على السير، وتجمع البهائم إذا سرحت. الحاوي الكبير شرح مختصر المزني١٧/ ١٩٢.

(١) المزمار: آلة من خشب أو معدن تنتهي قصبتها ببوق صغير. المعجم الوسيط١/٤٠٠.

(٢) انظر: كلام السّهْرَوَرْدِي في عوارف المعارف١٤٤ ـ ١٥٠، وإحياء علوم الدين٢/ ٢٧٢.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين ٢/ ٣٠٦.

(٤) هو: سعيد بن عمر بالحَاف، أحد أعلام حضرموت واليمن، اشتهر بالتصوف، وله قصائد رائقة، وعبارات ذائقة، تدلّ على رسوخ قدمه في العلم، وبلوغ كعبه في الزهد والفهم، تتلمذ على الفقيه المقدَّم محمد بن علي باعلوي، ونهل من معينه، حتى أنه والشيخ عبد الله بن محمد باعبّاد تربيًّا على يديه، واختَصَّا به، وكان الفقيه المقدم يلاطفه ويناديه يا لُحَيّف، توفي بالشحر، ومن قصائده هذه التي شرحها إمامنا

=

بالحـاف[1] سـمّاه لِحافـاً: الشـيخ الكبيـر، الإمـام العـالم ظـاهر وبـاطن، قطـب الزمـان الفقيه محمد بن علي باعلوي، واقتبس من أنفاسه، وهي هذه الأبيات:

نحــنُ لكــم مــن قبْــل أنْ يلــدَ نُــوحٍ وأنــتُم لنــا مِــنْ قبــل يُخلــق الــرُّوحْ
ونســـبةُ آدم مـــن تُـــرابٍ مَطـــرُوحٍ ونِســـبةُ الـــرُّوح العزيـــز للـــرُّوح
وفـــي التُـــرابِ أســـرارٌ لا تَنَـــاهى لِمَـــن عرَفهـــا أو لِمَـــن وعـــا الـــرُّوح
الـــروحُ[2] هـــي أرضـــه وهـــو ســـمَاها الكـــلُّ فـــي نـــصِّ الكتـــابِ مشـــروح
غيـــثُ الســـما تُـــزرع بـــه البَســـاتين وتخْـــرج أفنـــان النبـــات فـــي الطِـــين
مِســـكِين مَـــنْ لا فَهـــمْ فيـــه مِســـكِين مِـــنْ هاهُنـــا صـــارَ الفُـــؤاد مجْـــرُوح
مَـــنْ اجـــدَبتْ أرضـــهُ بـــايش يـــزْرع بـــالرِّيح أم بالشـــمس حِـــين تَطلَـــع
مَـــنْ لـــم يُصـــبهُ الغِيـــث كيـــفْ يَصْـــنع هـــلْ يَســـتَوِي كُـــونْ الجَسَـــد بِـــلا روح

الشرح يعني: شرح هذه الأبيات: هذا كلام مَنْ غلَبت عليه الروحانية، وانْمَحتْ عنه صفات البشريّة، وتجرّدت له المعارف الإلهية، وانخلَعت من الأرواح اللطيفة، واللطيف من الكثيف، وعُرج برُوحه إلى العالم الأعلى، وطالع الوجود الحقيقي الأصْفى، فانطبَع فيهِ نقْش

= العيدروس، ، قال الإمام عقيل بن عمر باعمر بعد أن أثنى عليه ووصفه بالعالم الرباني في شرح قصيدته التي مطلعها : لما بَدَتْ لي جَلْبَة المُسافر * في بحر باحات الهَوى زواخِر . ناديت يا أهل الوُد هل مُسافِر* هذي سفينة تطلب المفاخِر : الشيخ الناظم رضي الله عنه من خواص عباد الله المقربين، كما شهد له بذلك مشايخنا آل باعلوي فمنهم شيخ شيوخنا: محمد بن علي الفقيه المقدَّم في بعض كلام له، و قد شهد له أيضاً سيدنا و شيخنا عبدالله بن أبي بكر العيدروس –رضي الله عنهما– بقوله في شرح قصيدته التي أولها: نحن لكم من قبل أن يلد نوح هذا كلام من غلبت عليه الروحانية و انمحت عنه الصفات البشرية...انظر: فتح الكريم الغافر في شرح حلية المسافر لباعمر٥٦، وعقد اليواقيت الجوهرية للحبشي٢/١١٠٠، وذكره في مصادر الفكر الإسلامي في اليمن٣٣٣.

(١) بالحَاف قال العلامة عبد الرحمن السقاف: هو مِنْ وراء عين بامعبد إلى جهة الشرق، وهو مَرْسى . ميناء للسفن . لآل أحمد بن هادي آل عَزَّان، وأصبحت هذه المنطقة من شبْوة. انظر: إدام القوت في ذكر بُلدان حضرموت ٦٧.

(٢) [الروح] زيادة في النسخة الهندية .

الملَكوت، وتجلّى له قُدس اللاهوت[1]، فقال: نحن لكم بتجرّد أرواحِنا وطهارتها مِنْ قَبْل ومِنْ بعد، مِنْ قَبْل أن يلد نوح عليه السلام كما قال النبي ﷺ : (إن الله خلقَ الأرواحَ قبلَ الأجسادِ بألفَي عام)[2]، وأنتُم لنا مِنْ قبل يُخلق الروح كما قال عزَّ وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[3]، ويُشْبهُ[4] الرّوح العزيز للروح، الشرح يعني: إذا رُزِقْنَا

---

(١) اللاهوت في اصطلاح أهل الحقيقة: يطلق على الروح، ويطلق على الحياة السارية في الأشياء، وربما يطلق على العالم العلوي، وقال ابن عجيبة: عبارة عن أسرار المعاني .انظر: الكليات لأبي البقاء ٧٩٨، ومعراج التشوف إلى حقائق التصوف ٣١.

(٢) أخرجه أبو القاسم اسماعيل بن الفضل الأصبهاني(ت ٥٣٥هـ) بسنده بلفظ: (إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف) عن عمر بن عبسة رضي الله عنه مرفوعاً في كتابه الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة١/٥٠٥، والديلمي في مسند الفردوس بمأثور الخطاب٢/ ١٨٧، وابن الجوزي في الموضوعات١/ ٣٠٠، من حديث علي رضي الله عنه ، وفي سنده عبد الله بن أيوب بن أبي علاج قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع . قال الأزدي : عبدالله بن أيوب وأبوه كذّابان لا تحل الرواية عنهما. وأما الحديث بلفظ: (الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فما تَعَارَفَ منها ائْتَلَفَ وما تَنَاكَرَ منها اخْتَلَفَ) فقد أخرجه البخاري في صحيحه ك:الأنبياء، بَاب: الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ح ٣١٥٨، وغيره. وروى الطبري عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٧٢قال: أقرَّت الأرواح قبلَ أن تُخْلق أجسادها. جامع البيان في تأويل القرآن١٣/ ٢٤٤، وأخرجه عن ابن كعب أيضاً ابن أبي شيبة في مصنفه٧/ ٢٦٥، وقد اختلف العلماء هل الأرواح خلقت قبل الأجساد أم معها؟ والراجح الأول، بل نقل ابن حزم وغيره الاجماع عليه، واستدل بهذا الحديث، وقيل: خلقت مع الأجساد وجرى عليه جماعة من أهل العلم، واستدلوا بحديث الشيخين : (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة... الحديث).وقد ذكر الحافظ السخاوي عن بعضهم في معنى الحديث قوله: بيني وبينك في المحبة نسبة .. مستورة عن سِرِّ هذا العالم * نحن اللذان تحابيت أرواحنا .. من قبل خلق الله طينة آدم . انظر: طرح التثريب للعراقي٧/ ٢١٩، والمقاصد الحسنة ١٠٥، وكشف الخفاء للعجلوني١/ ١٢٢.

(٣) سورة الأنبياء: ١٠١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: (ونسبة)كما في الأبيات المشروحة المتقدم ذكرها . والله أعلم . .

اتباع النبي ﷺ وأحكمنا تُشْبّهِ الإتباع بالنبي ﷺ، وأحكمنا تشبّه الاتباع أعني: طاعة الله ورسوله، واتّباعه في آدابه الظاهرة، وأخلاقه الروحانية، حُشِرتْ أرواحُنا الجزئية، وأجسامنا إلى روحه الكُلي وجسمه الكريم؛ لأنّ أُمتَه أولادُه في المعنى، لا في الجسم كما قال الغزالي رحمه الله: من علّمك العِلمَ ذاك خيرُ أبٍ، ذاك أبو الرُّوح لا أبو النُّطَف[1]، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[2]،

وفـــي التُـــرابِ أســـرارٌ لا تَنَـــاهى لِمَـــن عرَفهـــا أو لِمَـــنْ وعـــا الـــرُّوح
الـــروحُ هـــي أرضـــه وهـــو ســـمَاها الكـــلُّ فـــي نـــصِّ الكتـــابِ مشـــروح

الشرح : يعني القبضةُ المباركةُ التي خلق الله منها آدم، ومائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، وعلى عدد التراب: صالح ومؤمن، ومُسلم ووليٌّ وخلائق، ومن النخالة عوالم وعجائب وغرائب لا يمكن شرحها، ومن نخالتها: النخلة، وأسرارها، وعجائب ثمارِها، وصنائعها وبدائعها، فأجسام بني آدم كالأرض قلْباً وقالِباً، والأنبياءُ سماوتُاها، فكُلُّ أمَّةٍ تبْعثْ نبيّها، وآمنتْ به قلْباً، وجسْماً اغتاثت بفنونِ الإيمانِ، والإسلامِ، والعلمِ، والعملِ، وزُرعت: بساتين خلْقِها وأخلاقها، وأخرجت من أفنان نباتها بالأوامر والنواهي على أجسامها، وأرواحها؛ لمن فهِمَ وعلِمَ، كما قال:

غيـــثُ الســـما تُـــزرع بـــه البَســـاتين وتخْـــرج أفنـــان النبـــات فِـــي الطِّـــين

---

(١) قال الإمام الماوردي : رَجَّحَ كَثِيرُ مِنْ الْحُكَمَاءِ حَقَّ الْعَالِمِ عَلَى حَقِّ الْوَالِدِ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا فَاخِرًا لِلسَّفَاهِ بِالسَّلَفِ * وَتَارِكًا لِلْعَلَاءِ وَالشَّرَفِ

آبَاءُ أَجْسَادِنَا هُمْ سَبَبٌ * لَأَنْ جُعِلْنَا عَرَائِضَ التَّلَفِ

مَنْ عَلَّمَ النَّاسَ كَانَ خَيْرَ أَبٍ* ذَاكَ أَبُو الرُّوحِ لَا أَبُو النُّطَفِ. انظر: أدب الدنيا والدين٧٧.

(٢) سورة النساء:٦٩.

مِســكِين مَــنْ لا فَهــمْ فيــه مِســكِين مِــنْ هاهُنــا صــارَ الفُــؤاد مجْــرُوح

ومِنْ أسرار التراب، في بعض الأخبار: أن اللهَ خمّرَ طِينةَ آدمَ بِيدِهِ المعنوية أربعينَ صَباحًا [1]، وحَجَبَهُ بأربعين حِجابًا، أعني: من الحضرة القُدسيّة، وإذا دخل المؤمن الأربعينية بصدقٍ ونيّةٍ؛ كُلَّ يومٍ يقطعه بجُوعٍ، وصمْتٍ وسهرٍ، مع التمسُّك بظاهر الشرع؛ فيَنحِلُّ حِجابٌ، فعند تمام الأربعينيّة تزُول الحُجب، ويظهر ينابيع الحِكمة من قلبهِ إلى لسانه[2]، بواسطة

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان٦/ ٣٠٧ لكن بلفظ قال فيه: عن أبي عثمان عن سلمان أو عن بن مسعود وأكبر ظني أنه عن سلمان قال: إن الله عزّ وجل خمّر طينة آدم أربعين ليلة – أو قال: أربعين يومًا – ثم قال بيده فيه، فخرج كل طيِّب في يمينه، وخرج كل خبيث في يده الأخرى، ثم خلط بينهما، ثم خلق منها آدم)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٢٧، والآجري في الشريعة٢/ ٨٥٤، والفريابي في القدر٢٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء٨/ ٢٦٣،وسئل الدار قطني عن حديث أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود قال: إن الله تعالى خمّر طينة آدم، فقال: يرويه سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان أو ابن مسعود موقوفاً، وهو الصحيح ومن رفعه فقد وهم. انظر: العلل الواردة في الأحاديث النبوية٥/ ٣٣٨، قال ابن فورك : اعلم أَن قَوْله ﷺ : إِن الله خمر طِينَة آدم عَلَيْهِ السَّلَام، فَمَعْنَاه: مَا ذكرنَا من إِضَافَة بعض أَفعاله على اللَّفْظ الْخَاص كَمَا يُقَال عذب وأنعم وحرك وَسكن. وَالرُّجُوع فِي ذَلِك إِلَى حُدُوث الْمعَانِي مِنْهُ بقدرته وَيكون ذَلِك مَحْمُولاً على حكم سَائِر أَفعاله، فَإِنَّهَا تحدث مِنْهُ لَا على معاناة ومباشرة، أما قوله : خلطها بيده فإن تأويل قوله خلطها على معنى ما ذكرنا من قوله خمّر طينة آدم، وقوله: من قبضة قبضها الرحمن، وكلا الوجهين من التأويل سائغ فيه إن قلنا: إن ذلك إظهار فعل، وإضافة إليه باللفظ الخاص من جهة الملك، والتقدير سائغ وإن قلنا إن ذلك على تأويل قول القائل قتل الأمير اللّص على أنه أمر به وأن القتل حدث عن ملكه، وحكمه كان غير منكرٍ أيضاً. مشكل الحديث وبيانه ١٠٤.

(٢) يشير إلى حديث : (مَنْ أخلص لله تعالى أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحِكمة على لسانه) أخرجه أبو نعيم عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعاً وقال: كذا رواه يزيد الواسطي متصلا ورواه ابن هارون ورواه أبو معاوية عن الحجاج فأرسله. حليةالأولياء٥/١٨٩، والديلمي في مسند الفردوس٣/ ٥٦٤، والقضاعي في مسند الشهاب١/ ٢٨٥، وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/٨٠، وابن المبارك في الزهد ٣٥٩ كلاهما عن مكحول مرسلاً ، والحديث له طرق وشواهد كثيرة يرتقي للحسن ذكرها السخاوي والسيوطي وابن عراق الكناني وغيرهم، قال الغماري بعد ذكره لطرق الحديث : ولكن مع كثرة طرقه وشواهده المذكورة لا =

الأحوال القلبية من بركات الحضرات القدسيّة، ومن أسرار التراب أن جسْمَك أرضي، ورُوحَك سماوي كالأرض والسموات، فالرحمة من العرش إلى الكرسي إلى السموات إلى الأرض، والنظر الإلهي من الله إلى السِّر إلى العقل إلى الروح إلى القلب، إلى النفس إلى الجسم كما قال النبي ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إلى صُورِكُم وإلى أَجْسَادِكُمْ وإنما يَنظرُ إلى قُلُوبِكُمْ ونيّاتِكُم)[1]، فانقطاع غيثِ السماء عن الأرض فساد الأرض، وغيث السماء بإصلاح الأرض وإصلاح بساتينها وعُيونِها، وخروج أفنان نباتِها في طِينِها. وحياة القلوب الروحانيّة بأنوار الكتاب والسُّنة والتقوى والصّدق والنيّة، واتباع الشريعة صلاح الجسمانية والأخلاق القلبية كما قال النبي ﷺ : (ألا وَإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ

=

يتهيأ الحكم عليه بالوضع ، لا يبعد الحكم بحسنه، لأن طريق مكحول المرسلة رجالها رجال الصحيح، فلم يبق فيها إلا الإرسال، وقد تعضد بوصله من طرق أخرى، فيثبت الحديث إن شاء الله، والحمد لله. انظر: المقاصد الحسنة ٦٢٠، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة٢/ ٢٧٦، وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة٢/ ٣٠٥، والمداوي عن علل المناوي٦/١٠٨ ـ ١١١. قال المناوي: من هذا الحديث أخذ الصوفية الأربعينية التي يتعهدونها واستأنسوا لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ سورة الأعراف: ١٤٢ ، وقال بعضهم حكمة التقييد بالأربعين أنه تعالى خمّر طينة آدم أربعين صباحاً، لتبعد بالتخمير أربعين بأربعين حجاباً من الحضرة الالهية؛ لتصلح لعمارة الدنيا، وتتعلق به عن الحضرة وبالتبتل والاخلاص، والتورع عن التوجه الى أمر المعاش بكل يوم يخرج عن حجاب، وبقدر زوال كل حجاب ينزل منزلاً في القرب من الحضرة الالهية التي بين مجمع العلوم ومصدرها، فإذا تمّت زالت الحجب وافيضت إليه العلوم والمعارف، ثم إن للقلب وجهاً إلى النفس باعتبار توجّهه إلى عالم الشهادة، وله وجه الى الروح باعتبار توجّهه الى الغيب فيستمد القلب العلوم المكنونة في النفس، ويخرجها الى اللسان الذي هو ترجمانه، فالعبد بانقطاعه إلى الله، واعتزاله للناس يقطع مسافات وجوده، ويستنبط من نفسه جواهر العلوم، لكن هذا مشروط بالوفاء بشروط الاخلاص، ومن لم يظفر بالحكمة بعد الاربعين تبيّن أنه أخلَّ ببعض الشروط. انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير٢/ ٣٩١، و مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري١٠/٥٠٧.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) ك: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ح ٢٥٦٤.

كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ألا وَهِيَ الْقَلْبُ)[1]، فهذا معنى غيث السماء، يزرع به البَساتين، وتخرجُ أَفنَان النبات في الطِّين إذا ظهرت[2] أحوال القلب بالأخلاق المعبّرِ عنها بالتقوى الباطن، وتقيّدت بالأوامر وترك المناهي، أعني: السبعة الأعضاء، اغتاثت بساتين القلُوب بباطن التقوى، وخرجتْ أفنانها نبات ظاهر التقوى، على ظاهر الأعضاء، فعند ذلك وردَت الواردات[3]، والمُكاشفات، والمُشاهدات[4]، والمعارف[5]، والأحوال تترى.

مسْكين من لا فهم له فيه، مسْكين من لا يُرزقُ فهم عن الله، في كتابه العزيز المعبّر عنه بالقرآن، والعلم الظاهر والباطن فيه مشروح، فقلبُه غافلٌ ومجروحٌ، ومن حُرِم فتوحات القلوب وأسرار الغيوب، وفهم مقامات الدين، ومواهب الأحوال فهو في الدنيا والأخرة مجروح، ومن لا يفهم أسرار أنوار معاني معنوي الخطاب الرحماني من آي القُربِ المُعبّر عنه بالكتاب الأزلي، مسكين، وفؤاده لم يزل مجروحاً.

مَنْ اجدَبتْ أرضهُ بايش[6] يزْرع ... بالرِّيح أم بالشمس حِين تَطلَع
مَنْ لم يُصبهُ الغِيث كيفْ يَصْنع ... هلْ يَستَوِي كُونْ الجَسَد بِلا روح

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك:الإيمان، بَاب: فَضْلِ من اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ ح٥٢.

(٢) في النسخة الهندية : (ظهر).

(٣) الواردات: ما يرد على القلب من المعارف والأسرار .انظر: شرح الحكم العطائية للشرنوبي ٢٢، و معراج التشوف إلى حقائق التصوف ٢١.

(٤) المكاشفة : انكشاف الحُجب بصفاء صفات السالك فيها، وتطلق على الأمانة بالفهم، وتحقيق زيادة الحال، والمشاهدة : تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، وهي حقيقة اليقين من غير شك، والمكاشفة والمشاهدة، تتقاربان في المعنى إلّا أن الكشف أتم في المعنى. انظر: اللمع للطوسي ٤١٢، واصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات للجرجاني٢١١.

(٥) المعارف: علوم العِرفان بالأسرار ، فالمعارف هي علوم المعرفة، بحيث يعرف في كل شيء ولا ينكر شيئاً، والأسرار أذواق تلك العلوم؛ فإن المعرفة تكون أوّل علماً وآخر ذوقاً. انظر: إيقاظ الهمم شرح متن الحِكم٢٠٩.

(٦) بايش أي: بماذا ؟ .

يعني: إذا اجدَبت الأرض، مع مَهاب الرياح، وطلوع الشمس، ووجود الليل والنهار، ولم يصبها الغيث كيف يزرع؟ أو يُستنفع بها بلا ماء وغيث؟ هيهات، بل هي كالجيفة بلا رُوح ،كذلك القلب والجسم مع الحياة، ووجود العقل المقبل على عالم الدنيا، ووجود الخيال والوهم[1]، وريح الطبائع وطلوع شمس الروح المنكوس المعكوس، على لذّات الذنوب والهوى، ولم يصبه غيث الإيمان، والإحسان، والإسلام، واليقين، وتقوى الباطن وتقوى الظاهر على السبعة، فهو كالجيفة بلا روح، هل يستوي كون الجسد بلا روح ؟، ومَنْ يسّر الله له أسباب الشقاوة مثل الذنوب والعيوب، ولذّة الإصرار عليها، ولم تيسّر له أسباب السعادة بالعلم والعمل، ولم تصبه غُيوث حياة القلوب كيف يصنع؟ هل يتصوّر وجود حياة جسد الآدمي بلا روح؟ هل يتصوّر حياةٌ بلا روح الإيمان ونور الإحسان وبركة الإسلام واتباع الشرائع المُحمديّة ؟، هيْهات، بل هو كالجيفة بلا رُوح، هذا في ذِكر ظهور برَكات آثار الرُّوح، أمّا حقيقته أو سرّه فلا يجوز الخوض فيه، بل معرفة بركاته وأنواره وأسراره من جملة الهداية التي ذكر الله تعالى في محكم كتابه، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾[2]، وكما قال النبي ﷺ : (مَنْ عرَف نفسه عرف ربه)[3]، بل لا يجوز الخوض فيه،

---

(١) الخَيال هو: قوة تحفظ ما يُدركه الحِس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة، بحيث يشاهدها الحِس المشترك كلما التفت إليها فهو خزانة للحس المشترك. والوهم هو: قوة جسمانية للإنسان محلها آخر التجويف الأوسط من الدماغ، من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات، كشجاعة زيد وسخاوته، وهذه القوة هي التي تحكُم بها الشاة أن الذئب مهروب عنه، وأن الولد معطوف عليه، وهذه القوة حاكمة على القوى الجسمانية كلها مستخدمة إياها استخدام العقل للقوى العقلية بأسرها، وهو إدراك المعنى الجزئي المتعلّق بالمعنى المحسوس. انظر: التعريفات للجرجاني٨٤ ـ ٢٠٦. والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي٣٢٩.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٣) هذا ليس بحديث عن النبي ﷺ وإنما هو من كلام يحيى بن معاذ الرازي، وقد ألّف السيوطي في هذا رسالة أسماها: القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه ، وشرح معنى هذا الكلام، وقال النووي فيه: ليس هو بثابت ؛ ولو ثبت كان معناه من عرف نفسه بالضعف والافتقار إلى الله تعالى، =

ولا في إفشاء علمه في الكتب، كما قال ربّنا عزَّ وجل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ [2].

(فصل) ولنذكر مَرَامزَ وإيما، يدل على بركات معارف الأسرار. شعرٌ:

لقد نبَّهتُ بالرَّمزِ والإيْمَا إن كُنتَ من أهلهِ فتَأمّلِ

وفي بعض الأخبار: أن الله تبارك وتعالى أرسل جبريل عليه السلام إلى آدم عليه السلام، فقال له:(إن الله أرسلني إليك بثلاثة أشياء العقل والدين والحياء فاختر أيهم شئت، فاختار العقل، فقال جبريل عليه السلام: للحياء والدين انصرفا، فقالا: إن الله تعالى عهِدَ إلينا أن نكون حيثُ كان)[3]، فلما اختار العقل، حصل له من المملكة أرفعُ محلٍّ، فيه يرتقي الطالبُ إلى أسرارِ الملَكوت الخفيّة على الأنظار بالأبصار المحيطة بالأفكار، فتُعاينُ القلوب حقائق الغيوب، وبصحة قبول

=

والعبودية له، عرف ربه بالقوة، والقهر، والربوبية، والكمال المطلق، والصفات العليا. انظر: فَتَّاوَى الإمامِ النَّوَوَيِ المُسمَّاةِ: بالمَسَائِل المنْثورَةِ ٢٤٨، والقول الأشبه في حديث : من عرف نفسه فقد عرف ربه ضمن الحاوي في الفتاوي للسيوطي.

(١) سورة الإسراء :٨٥.

(٢) سورة الحجر :٢٩.

(٣) أخرجه أبو حاتم ابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء٢٠ بسنده فقال: أخبرنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني بالكرج حدثنا محمد بن علي الطاحي حدثنا عمرو بن عثمان الخزاز الحراني حدثنا مفضل بن صالح قال علي: لما أهبط الله آدم من الجنة أتاه جبريل.. الحديث. ، وأخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا نحوه في العقل وفضله ٤٥، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٧/ ٤٤٤ وفي سندهما مجهول، وذكراه ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد ٢/ ١٠٠، وابن القيم في مفتاح دار السعادة ١/ ١١٧، من غير إسناد. والحديث ضعيف؛ لانقطاعه؛ ولأن مفضل بن صالح الأسدي ضعفّوه .انظر: الكاشف للذهبي٢/ ٢٨٩، وقال ابن حبان عنه: منكر الحديث، كان ممن يروي المقلوبات عن الثقات. المجروحين٢/ ٢٢.

شـواهد الأسـرار تلـج الضـمائر فـي بحـار الأفكـار، وتطمـئن النفـوس إلـى مـا لحقـت بـه مـن العـالم المحجـوب عـن الأبصـار، فكـلُّ مـا شـفَتْ[1] الغيـوب أدلّتهـا عـن صـنع وفطْـرة، قابلتهـا مـن القلـوب هيبـةً وفكـرة، فـالعقول شـاهدة لحقائقهـا، فإنمـا يرتقـي إليهـا وهمـاً لا تحقيقـاً: تعْلـم ذلـك تفكّـراً لا نـاظراً، فلـولا العـالم لصـفت المعرفـة، ولـولا العلائـق لانكشـفت الحقـائق، ولـولا فتنـة الـنفس؛ لارتفعـت الحجـب، ولـولا ظلمـة الكـون لظهـر نـور الغيـب، ولـولا البُعـد؛ لَشُـوهِدَ الحـق، فـإذا انكشـفَ الحِجـاب تحسـم هـذه الأسـباب، وترتفـعُ صـحيح العوائـق بقطـعِ الأسـباب، فأنـتَ الآن محجُوبـاً عـن ذاتِـك ولـذّاتِك بـذاتِك، وممنـوع عـن صـفاتِك بصـفاتِك، ومحـروم عـن اكتسـاب حياتِـك فـي حياتِـك، ومقطـوع عـن كنَـفِ حمائِـك لغلبـةِ أعـدائَك، فلـولاكَ لـولاك أنـتَ علّـة عُقْبَـاك، أنـتَ السـبب فـي عـذابك، أنـتَ المثبـت زللـك فـي كتابـك، أنـتَ المنظـور لحسـابك، أنـتَ المـنجّس لثيابـك، أنـتَ الميّـت فـي اهابـك، أنـت المهـاجر لأحبابـك، أنـتَ النـائي عـن اقترابـك، أنـتَ الراغـب فـي توبيخـك وعتابـك، أنـتَ المضـيّع ببيـع وسـائل الفضـائل فـي كُهولِـك وشـبابِك، أنـتَ الغافـل عـن ذاتِـك ومـا بـك، أنـتَ المسـيء لنفسـك فـي حياتـك ومماتـك، أنـتَ المـولّي عـن طريـق صـوابك، أنـتَ المبتـاع بالجفـا عـداوة أصـحابك، أنـت القـاطع بسُـوء فعلـك صـلة قرابتـك وأصـحابك[2]، أنـتَ المُغلِـقُ بتماديـك علـى المعاصـي جميـع أبوابـك، أنـتَ المُسْـبل دون قلبـك سـتر حجابـك، أنـتَ المغيّـر سـاطع بياضـك بمسـوّد خِضـابك، أنـتَ المبـدّد نفـائس أنفاسـك، وفيمـا يضـرك فـي قبـرك وترابـك، أنـتَ المُسـمّمُ لنفسـك فـي طعامـك وشـرابك، طويـت سـجّادة تصـوّفك مـن مسـجدك ومحرابـك، وكـذلك لـم تلُـم نفسـك، واللـوم أولـى بـك،

---

(١) كذا في الأصل ، ولعلها : كشفت . والله تعالى أعلم . .

(٢) في النسخة الهندية [وأسبابك]، ولعلّها صُحفّت من : أنسابك، أي: من جهة النسب، حتى يستقيم الكلام . وفي الأصل مصححة [وأصحابك] وهو الأولى، . والله أعلم . .

وهذا الفصل كلّه في معنى هذه الأبيات[1]:

بَـدَا لـكَ سِـرٌّ طـالَ عنـك اكتِتَامُـهُ وأَشـرَقَ نُـورٌ كُنْـتَ أنْـتَ ظَلَامُـه
فأنـتَ حِجـابُ القلْـبِ عـن سِـرِّ غَيْبِـهِ ولـولاك لـم يُطْبَـع عليـه خِتامُـه
فـإن غِبْـتَ عنـه حَـلَّ فِيْـكَ وطنّبَـتْ على سِرِّكَ[2] الكشفِ المَصُون خِيامُه[3]
وجـاءَ حَـديثٌ لا يُمـلُّ سَـمَاعُه شـهيٌّ إلينـا نثْـرهُ ونظامُـه

وفـي شـرح هـذا الأبيـات: بـدا لـك أسـرار اخفـاؤه وكتْمُـه أولـى، وهـو ينكشـف بالمجاهـدة كمـا قـال الله تعـالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾[4] أي: المعرفـة بنـا، وأمّـا مـا بعـده، فمتابعـة الـنفس والهـوى، فـإن غبـتَ عنـه أي بمخالفـة الـنفس والهـوى حصـلَ لـك الـريء والارتـواء، وجـاء حـديث هـو العلـم الـذي ضُـرِبَ بالمكالمـةِ واللهِ أعلـم، وقولـه ومـا بعـده أي: البيتـين قبـل: فـإن غِبْـتَ: وجـودَك ووجـود الكائنـات، دالاتٌ علـى إشـراق صـباح القُـدرةِ الأزليـة العظمـى، فمـا حجبَـكَ إلا ظُلمـةُ طبعِـكَ، ونفسـك الأمـارة وهـواك، والله أعلـم، وبـه التوفيـق، وهـو حسـبنا ونعـم الوكيـل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .. تمّت الرسالة، بحمد الله وعونه [5].

---

(١) الأبيات للحسين بن منصور الحلاّج كما في ديوانه ٥٢، ونسبها عماد الدين الكاتب الأصبهاني (ت٥٩٧هـ)، لأبي محمد عبد اله بن القاسم بن المظفر بن علي بن الشهرزوري . انظر: خريدة القصر وجريدة العصر للأصبهاني٢/٤٣٦.

(٢) في الديوان للحلاج، وخريدة القصر : (على مَنكِبِ) .

(٣) في الأصل هذا البيت محذوف، وهو موجود بالنسخة الهندية. وقد أشار لبعض معاني هذه الأبيات ابن القيم ، وابن عجيبة . رحمهما الله تعالى . انظر: مدارج السالكين ٢/ ٢٠٤، ٣/ ٢٢٢، وإيقاظ الهمم شرح متن الحكم ٢٤٤.

(٤) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٥) كان الفراغ من تحقيق هذه الرسالة المباركة وترجمة المؤلف يوم الجمعة من شهر شعبان ١٤٣٥/٨هـ الموافق ٢٠١٤/٦/١١م، كتبه : زين بن محمد بن حسين العيدروس عفا الله عنه ، بمدينة المكلا . حضرموت، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم ، والحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

المقدمة..... ٣
وصف المخطوطة المحققة وميزاتها: ٤
ترجمة الإمام عبد الله العَيْدَرُوس..... ٥
طلبه العلم وشيوخه وتلامذته ٧
صفاته وأحواله ٩
مِنْ أقواله..... ١١
فمِنْ جملة دُررِ كلام الإمام العَيْدَرُوس:..... ١٢
من منهج الإمام العَيْدَرُوس ١٩
[النصُّ المحقق] رسالة بديعة في التصوف ٣٧
فهرس الموضوعات..... ٨٧